تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية

د. عبدالرزاق بن أحمد راشد المعمري
قسم الآثار - كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود

تُركِّز هذه الدراسة على وضع تقسيم مرحلي (تحقيب) لتاريخ دراسة ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، دون الدخول في حصر هذه الدراسات، أو تفاصيلها، إذ كان الباحث قد تناولها بشكل مستقل في بحوث أخرى[١]، وأخرى تحت الطبع[٢].

(1) Rashed A.A., 1993a. Nieolit Yujnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk.Sankt-Petersburg. (Unpublished Ph.D.dissertation. University of Sankt-Petersburg), in Russian: 6-36.

(رسالة دكتوراة غير منشورة).

Al-Ma'mari A.R.,2001. "Investigations of the Neolithic on the Arab Peninsula: Present State and the Problems". Russian Archaeology, No.1:5-14.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد(٢٠٠٧م): "دراسات العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية: نقد المصادر واستخلاص النتائج"، أدوماتو، ع٢٠، ص ٧- ٣٨.

(٢) المعمري، عبدالرزاق."المرحلة الثانية من دراسات العصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية: نقد المصادر واستخلاص النتائج. المؤتمر الدولي السادس للآثار والحضارة اليمنية، عدن (تحت الطبع).



أمَّـا هدف الدراسـة فـهـو إعـادة النظـر في المرحلتين اللتين اقتـرحهما البـاحث لتحقيب دراسـات ما قبل التاريخ في شبه الجـزيرة في النصف الأول من تسـعينيـات القـرن العـشـرين الميلادية (النصف الأول من عشرينيات القرن الخامس عشر الهـجـرية)[٣]، من خـلال تحـقـيب جـديد، في هـذه الدراسـة، يتكون من ثلاث مراحل، إلى جانب تقسيمات أخرى داخلية لكل مرحلة من هذه المراحل، أيضًا. وممَّا يجـدر ذكره، فيما يخص الإحـالات، فإنهـا سـتـقـتـصـر على مـا يرتبط بموضوع الدراسـة بشكل مـبـاشـر، وليس بهـدف فـحص الدراسـات نفسها.

كمـا تقتصر الدراسة على عرض الحـد الأدنى من نماذج الأدوات الحـجـرية، التي عُثر عليها في هذه المراحل الثـلاث، وفي الوقت نفسـه فـإنهـا تمثل الحـقب الرئيـسـة للعـصـور الحـجـرية في شـبـه الجـزيرة العـربيـة، أيضًـا (شـكل١- ٥؛ لوحة١-٩)[٤]، كونها غير مركَّزة في دراسة هذه الأدوات، أو

(3) Rashed A.A., 1993a: 6-36. Op. cit.

(٤) ورد في (شكل١، ٢، ٣) مفهوم شطائر حجرية، ومفردها شطيرة: وهو النوع الذي تعارف عليه المتخصصون فيما قبل التاريخ، أن الطول فيه يساوي ضعف العرض، أو يزيد (شكل١/أ- ب ، شكل٣/أ: ٥، شكل٣/ ج: ١- ٢)، والذي سُـمّي باللغـة الإنجليـزية (Blade)، وبالفرنسية (Lame). ويتوزع هذا النوع بدوره إلى ثلاثة أنواع، حسب كبر حجم الشطيرة، أو صغره، ولكل نوع اسمه الخاص. وقد استخدمت مفهوم (شطائر) في كل ما كتبته عن العصور الحجرية، لأنه يُعبِّر عن هذا النوع المحدّد من الفِلق (Spalls)، لا من خلال مقياس الحجم، سالف الذكر، وحسب، وإنما من خلال ملاءمته لوصف العملية التقنية نفسها، التي يتم من خلالها تجهيز هذا النوع =

في حصر المواقع، أو المجموعات الحجرية التي جُمعت منها، أيضًا، والتي سيستشهد الباحث ببعضها.

وينبغي أن لا يتوقع بعضنا أن التحقيب المقترح في هذه الدراسة، سيكون في منأى عن باقي الدراسات الأثرية،

= من الفلق، وهي: (عملية الشطر، أو التشطير)، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الفلِق ما زالت، مثل غيرها من الفلِق الحجرية الأخرى، واقعة في الطور الأول من صناعة الأدوات الحجرية، وليست في طور الأدوات نفسها. علمًا أن مصطلح (Blade) كان قد تُرجم إلى اللغة العربية في وقت مبكر إلى (نصل)، وإلى (شفرة)، وهما مفهومان لأدوات، وليس لما هو عليه حال هذا النوع من الفلِق الاعتيادية، سالف الذكر، وبالتالي فإن ترجمة (Blade) إلى (نصل)، أو إلى (شفرة)، ترجمة حرفية، لا تعبر عن هذه الفلِق، لا من حيث الشكل، ولا من حيث المضمون، ولذا فقد اضطررت إلى تبيين هذا الالتباس في هذا الهامش، رغم أنني أوضحته، مع مفاهيم أخرى كثيرة، في دراسات سابقة. إنني أستخدم مفهوم نصل، ولكن في سياق آخر، وهو أن أقابل به المصطلح المستخدم في اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية: (Pointe) فالأنصال هي نوع محدد من الأدوات، جهزت بطريقة خاصة خطط لها مسبقًا، أثناء فلقها من النواة، كي تُستخدم أنصالاً، سواء أضيف إليها التهذيب في المرحلة الثانية من صناعة الأدوات الحجرية، أو لم يُضَفْ إليها، فإن أضيف إليها التهذيب (شكل٣/أ: ٩) سُميت أنصالاً مهذبة، وإن لم يُضَفْ إليها ذلك التهذيب (شكل٣/أ: ٧- ٨، شكل٣/ج: ١١- ١٣)، سُميت أنصالاً اعتيادية، أو (غير مهذبة). كما أنني أستخدم مفهوم (شفرة)، ولكن في سياق آخر أيضًا، حيث أعني به الجزء الحاد في الأداة، خاصة في المكاشط، والسكاكين ... إلخ. فهناك فرق واضح بين مفهوم (Pointe)، وبين مفهوم (Blade)، أو بعبارة أخرى ليست الفلِق الداخلة في مفهوم (Blade) أنصالاً، استنادًا إلى الشكل والتقنية.

والجدير ذكره أنه على الرغم من عراقة اللغتين الفرنسية والإنجليزية في مصطلحات علم الآثار، إلا أنّه ليس كل ما وضع فيهما يُعدُّ دقيقًا، أو (صائبًا)، وليس بالضرورة أن تترجم عنهما، تلك المصطلحات، إلى =



والأنشطة الأخـرى ذات الصلة، فـالزمن الذي وقـعت فـيـه دراسـات مـا قبل التـاريخ، هو الزمـن نفسـه الـذي وقعت فـيه الكثـيـر من تلك الأنشـطة، أيضـًا، وبالتـالي فـإنه سـيـلامس الكثـيـر مـن القـواسم المشـتـركـة بينهـا، ليس هـذا وحـسب، وإنمـا قد يكون فيه جوانـب، تتلاءم مع تحقيب دراسـات أثرية أخرى.

= اللغة العربية بطريقة حرفية، ما دام وجدت فيها مفردات أكثر دقـة، خاصـة أن تجنب الوقـوع في الخطأ في اللغـة العربيـة مـازال ممكنًا، على اعتبار أن تثبيت هذه المصطلحات فيها ما يزال في بدايته.

ومن الأمثلة الأخرى، على عدم دقة بعض المفاهيم في هاتين اللغتين، نذكر على سبيل المثال، ما له علاقة بموضوعنا هذا، وهو: عدم وجود مفاهيم للتمييز بين ثلاثة أنواع من الأدوات، رغم الاختلاف بينهـا، وهـي: (الأنـصـــــال) (شكل٣/ أ: ٧-٩، شكل/ج: ١١-١٣)، و(ذوات الأطراف الحـــادة)، أو (المدبّبـــــة) (شكل٣/ أ: ٣، ١٢)، والرؤوس (شكل١/ ب: ٣- ٦)، فكلها يُعبّر عنها بمفهوم (Point). في الوقت الذي نجد هذه الثلاثة المصطلحات، واضحة باللغة الروسية، ومحددة، كما قُدمت به الآن إلى اللغة العربية: (أنصال)، و(ذوات الأطراف الحادة)، و(رؤوس).

وفي هذا السيـاق يستدعي الأمر توضيح مفهوم الطور الأول من صناعة الأدوات الحجرية، ما دام قد سلف ذكره، فهو يُسمى باللغة الإنجليزية (Knapping)، وبالفرنسية (Debitage)، والذي يُعد أكثر استخدامًا من المفهوم الإنجليزي، وأنني أقابله، فيما أكتبه إلى اللغة العربية، بمفهوم (التفليق)، مستمدًا هذا المفهوم ممًّا ورد في القرآن: (الله فالق الحب والنّوى ..)، وكذا أستخدم النّوى، أيضًا، لأقابل به مصطلح (Core) باللغة الإنجليزية، أو (Nucleus) بالفرنسية. وقد حاولت أن أضع بعض المصطلحات في سياق ما أكتبه في العصور الحجرية، استنادًا إلى فهم الأداة نفسها من حيث التقنية والنوع، وليس من خلال الترجمة الحرفية لها، وهذه المصطلحات بحاجة إلى أن تجمع في عمل خاص، مع إضافة ما يمكن إضافته إليها.

كما ستتناول هذه الدراسة أسباب تأخر دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، مع التطرق إلى الدوافع التي قادت إلى ظهور هذه الدراسات في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الثاني من تسعينيات القرن الرابع عشر الهجرية)، وإلى الجهود التي بُذلت في نشر الوعي بأهمية آثار هذه الحقبة التاريخية الطويلة، ومكانتها في التعليم الجامعي، أيضًا، مقارنة بآثار المرحلة التاريخية، بالإضافة إلى جوانب أخرى ذات صلة.

موقع شبه الجزيرة العربية الإستراتيجي لإنسان ما قبل التاريخ:

لقد كان لموقع شبه الجزيرة العربية مكانته الإستراتيجية في مراحل كثيرة من عصور ما قبل التاريخ، فهو يمثل حلقة وصل بين قارات العالم القديم الثلاث، وبالإضافة إلى ذلك، تتميز شبه الجزيرة بتنوع تضاريسها، وبيئاتها، وهما من العناصر الأساسية التي كان لها دور كبير في حياة إنسان تلك العصور، وفي إعادة توزيع مواقعه، من عصر إلى آخر، وفق التغيرات المناخية السائدة في المنطقة.

فقد سُجلت في شبه الجزيرة مواقع كثيرة من مواقع ما قبل التاريخ، أقدمها أعيدت إلى الثقافة الإلدوائية، أو (الإلدوانية)، مثل موقع الشويحطية بسكاكا في الشمال(٥) (شكل٥/ ب)، وموقع كهف (القُزة)، والأميرة، وشرحبيل

(5) Whalen N. Ali Jamaludein S.,Sindi Hassan O., Pease Daved W.1986."A Lower Pleistocene Site Near Shuwayhitiyah in Northern Saudi Arabia". Atlal. V.10: 94- 101.



بوادي دوعن في حضرموت[٦] (شكل٥/ أ، ج). بينما تتميز مواقع العصر الآشولي[٧] (شكل٤، لوحة٢- ٥)، بكثرتها، نسبيًا، في وسط شبه الجزيرة[٨]، وجنوبيها[٩]، يليها بشكل أوسع مواقع العصر الحجري القديم الأوسط (شكل٣). أمَّا مواقع العصر الحجري الحديث فمنتشرة في جميع مناطق شبه الجزيرة، بشكل عام[١٠] (خارطة١). في حين تتمركز

(6) Amirkhanov H.A., 1991. Palieolit Yujnoi Aravii. Moskva. (In Russian), Amirkhanov H.A.,2006. Stone Age of South Arabia. Moscow (in Russian).

(7) Whalen N., Sandi H., Wahidah G., and Siraj J., 1983. "Excavation of Acheulean Site Near Saffaqah in Ad-Dawadmi", Atlal., V. 7:9-21,Whalen N., Siraj J., h., and Wilbon Davis, 1984. "Excavation of Acheulean Site Near Saffaqah, Saudi Arabia, 1403 A H 1983". Atlal., V. 8:9-42.

(8) Zarins J.,Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981."The second Preliminary. report on the south-western province". Atlal, V. 5:9-42.

(9) Amirkhanov H.A., 1991. Op. Cit., Van Beek G., Cole G., Jamme A., 1964. "An Archaeological Reconnaissance in Hadhramaun, South Arabia. Preliminary Report". Annual Report for 1963, Washington: Smithsonian Institution, :521-545.

(10) Al-Ma'mari A.R.,2001. Op. Cit.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد (٢٠٠٠م). "ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية"، أدوماتو، ع١، الرياض، ص٧-٢٩، المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد (٢٠٠٣م). "إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية"، أدوماتو، ع٥، الرياض، ص ٢٣-٤٤، المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد (٢٠٠٥م). "النمط الأثري الصحراوي وعلاقته بمرتفعات جنوبي الجزيرة العربية وبتهامة وعمان"، أدوماتو، ع١٢، الرياض، ص ٧- ٢٨، المعمري، عبدالرزاق بن أحمد راشد (تحت الطبع) مصدر سابق.

مواقع العصر البرونزي في المرتفعات الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة، وتهامة[١١]، وعمان[١٢]، بالإضافة إلى عدد من المواقع في الإمارات العربية المتحدة[١٣]، وقطر، والبحرين[١٤]، والكويت[١٥].

أسباب تأخر دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية:

ظلت شبه الجزيرة العربية بمنأى عن الدراسات الآثارية، عامة، فترة طويلة من الزمن، مقارنة بمناطق كثيرة من مناطق الجوار، وخاصة دراسات ما قبل التاريخ، على الرغم من غناها بهذه المواقع. فقد ارتبطت بداية دراسة العصور

(11) De Maigret A., 1990. "The Bronze Age Culture of Khawlan at Tiyal and Al-Hada (Yemen Arab Republic): A First General Report". IsMEO Reports and Memories XXIV, Rome.

(12) Weisgeber 1983. "Copper Production During the Third Millennium B.C. in Oman the Question of Makan", The Journal Oman Studies, V. 6/2: 269- 276. Zarins J.,1998. Dhofar-Land of incense. Archaeological Work in the Sultanate of Oman 1990-1995.Sultan Quaboos University Publications.

(13) Frifelt K., 1995. The Island of Umm An-Nar. Vol. 2. The Third Millennium Settlement. Arhus: Jysk Archaeologsk Selskab.

(14) Hjlund F., and Andersen H., 1994. Qala'at al Bahrain, vol. 1. Aarhus: Jutland Archaeological Society.

(15) Ciarla R., 1985. "Bronze Age Crafts at Failaka:Some Preliminart Observations on Stone Vase Fragments". East and West, New series, vol. 35-No. 4:396-406.



الحجرية بأنشطة الشركات النفطية[١٦]، خلال تنقيبها عن النفط في المنطقة الصحراوية، منذ الربع الثاني من القرن العشرين الميلادية (منتصف القرن الرابع عشر الهجري)، حيث قام بعض الجيولوجيين بجمع الأدوات الحجرية، من باب الهواية، أثناء عثورهم عليها بطريقة الصدفة، خلال أعمالهم الميدانية، وعلى إثر ذلك أخذت بعض تلك الشركات، أثناء الدراسات البيئية، تستدعي بعض الباحثين ذوي الصلة بالدراسات الآثارية، للقيام بتلك المهمة. ومن خلال الهواة، وجَدت الأدوات الحجرية لنفسها، آنذاك، طريقاً إلى الوسط العلمي، من خلال نشر الآثاريين لما وقع في أيديهم منها. والجدير ذكره أن جَمع الأدوات الحجرية، الذي انتشر في البداية عند الجيولوجيين الهواة، ظهر بعد ذلك عند هواة آخرين، ومنهم أعضاء في فِرق مكافحة جراد الصحراء[١٧]، وبعض العسكريين[١٨]... وغيرهم.

ويعود سبب تأخر الدراسات الآثارية، وخاصة دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة إلى جملة من العوامل، من أهمها: أن الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية يُعدُّ منطقة

(16) Smith G. H., 1928. "Report on the collection of flint implements: appendix III of the physical geography of south eastern Arabia". Geographical Journal. 71, No.,5: 464-465.

(17) Bunker D. G., 1953. " The South-West Borderlands of the Rub' al-Khali". Geogr. J., V. CXIX: 420-430.

(18) Payne J.C., Hawkins S.A., 1963. "Surface collection of flints from Habarut in Southern Arabia". Man, V. 240, December: 185-188.

صحراوية، وكان اجتيازها صعبًا، آنذاك، وهذا أوجد تصورًا خاطئًا عند بعضهم، من أن هذا الجزء كان على ذلك النحو فيما قبل التاريخ، وبالتالي فهو خال من مواقع تلك العصور، أضف إلى ذلك أن ندرة السكان فيه، إلى جانب انعدام السلطات المركزية بشكل كاف، كانا يجعلان عملية البحث غير مأمونة.

والسبب الثاني يرجع إلى عدم وجود مواقع منتشرة من مواقع المرحلة التاريخية في القسم الأكبر من هذا الجزء المتصحّر، حيث اقتصرت هذه المواقع على أطرافها: الجنوبية، ممثلة في مواقع الحضارة السبئية، والشرقية، ممثلة بمواقع دلمون، والشمالية، ممثلة في تيماء، ودومة الجندل (أدوماتو)، والشمالية الغربية، ممثلة في المواقع اللحيانية، ودادان، وهذا ما وضع شبه الجزيرة العربية بأكملها على هامش الدراسات الآثارية، وخاصة التي كانت تسمَّى، آنذاك، "علم آثار التوراة"، والذي شمل دائرة بحثه منطقة الشرق الأدنى، وخاصة بلاد الشام، ومنها فلسطين بخصوصية أكثر، لأسباب دينية.

والسبب الثالث يرجع إلى نمط العيش القائم على البداوة في الجزء المذكور من شبه الجزيرة، حينها، والذي ثبَّت فكرة رُوِّج لها كثيرًا، من قبل بعض الباحثين، لأسباب كثيرة، مفادها أن شبه الجزيرة العربية خالية من مقومات الحضارة، وقد بالغت هذه الفكرة كثيرًا، في تصوير سكان هذه المنطقة في الغرب بصورة سيئة.



والسبب الرابع هو أن الرحالة والمستكشفين الأوائل، لم يكونوا قلةً وحسب، وإنما كانوا من المهتمين بحروف الكتابة القديمة، ومنهم من كان اهتمامه مكرسًا في البحث عن تأثيرات الحضارتين اليونانية والرومانية على مراكز الحضارة في شبه الجزيرة، أو أن البحث الأثري كان غطاءً لأنشطة أخرى، أكثر من الأنشطة الأثرية.

والسبب الخامس يرجع إلى عدم اهتمام دويلات شبه الجزيرة نفسها بالبحوث الآثارية في وقت مبكِّر، وبالمحافظة على تراثها الثقافي، ومعالمه المختلفة عامة، والقديم منه خاصة، إلى جانب اتكال هذه الدول في الدراسات الآثارية على الآخرين، وخاصة الأوروبيين في المقام الأول.

والسبب السادس الأخير، ليس في عدم وقوع شبه الجزيرة العربية تحت قبضة الاستعمار، كما يطرح ذلك بعضهم(١٩)، كمصر، وبلاد الشام، وإفريقيا، مثلاً، وإنما في عدم اهتمام المستعمر نفسه بالبحوث الآثارية في شبه الجزيرة العربية، إلا ما ندر منها، للأسباب سالفة الذكر، فيما يبدو، والذي كان يتم، في الغالب، بمبادرات وجهود فردية، غير رسمية، والدليل على ذلك أن المناطق التي سيطر عليها الاستعمار الإنجليزي في كل من جنوبي شبه الجزيرة العربية، وشرقيها،

---

(١٩) محمد علي، عباس سيد أحمد. (١٤٢١هـ). "ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية". مجلة الدارة، ع٣، الرياض، ص٨٩- ١٣٠، ص ٨٩.

لم تنل اهتمامه في هذا الجانب، كما كان ينبغي له أن يكون، مقارنة ببعض الدول الأخرى التي استُعمرت في كل من آسيا وإفريقيا.

والجدير ذكره أن دراسات ما قبل التاريخ كانت، وما زالت في شبه الجزيرة العربية مقتصرة على فرق التنقيب الأجنبية، إلا ما ندر منها، فالمتخصصون المحليون في هذا العصور يعدُّون، إلى الآن، بأقل من عدد الأصابع، والسبب في ذلك، قد يرجع جزء منه إلى أن القائمين على مفاصل الدراسات الآثارية في الجامعات، والدراسات العليا، وفي الهيئات الأخرى ذات الصلة، يتعاملون مع هذا العلم بصورة ثانوية إلى حد كبير، أو (ببراءة ذمة)، ويكفي الاستشهاد على ذلك في أن جامعات دول شبه الجزيرة العربية، دون استثناء، لم تقم بأي حفريات في العصور الحجرية، على الرغم من أهميتها الكبيرة، سواء من الناحية التعليمية لطلاب الآثار أنفسهم، أو من ناحية المساهمة في معرفة حياة إنسان تلك العصور، سواء أكان ذلك في شبه الجزيرة نفسها، أم على المستوى الإنساني، عامة.

وهذا مقياس مهم على ذلك، وعلى فهم بعضنا، أيضًا، لعصور ما قبل التاريخ، على الرغم من أن الجميع يدرك بأن لهذه العصور معاهد، ومراكز بحثية كثيرة، في كل دولة على حدة، من دول أوروبا، سواء الغربية منها، أو الشرقية، إلى جانب الأقسام الخاصة بهذا العلم في جامعات تلك الدول، ومن هذه المؤسسات يأتي المتخصصون لدراسة عصور ما قبل



التاريخ في شبه الجزيرة العربية، خاصة، والوطن العربي عامة. ليس هذا وحسب، بل إن علم الآثار بأكمله يُعرَّف في الأساس بأنه: هو العلم الذي يقوم بدراسة بقايا النشاط الإنساني المادي غير المدون تاريخه، وتُمثِّل حياة الإنسان فيما قبل التاريخ أكثر من (٩٩٪) من مجموع التاريخ الإنساني بأكمله على الأرض، ومع ذلك فإن تدريس آثار العصور الحجرية بجامعات شبه الجزيرة العربية، ليس قليلاً، وحسب، وإنما يقوم بتدريسه، في كثير من الأحيان، غير متخصصين بهذه العصور، أفضلهم يكون متخصصًا بقضايا نظرية عامة، في الغالب.

ومع ذلك فإن الفيصل في تقييم هذا الجانب سيجده المهتم من خلال العودة إلى التخصصات الدقيقة، وأنواع الأنشطة الميدانية، والمقررات الدراسية في أقسام الآثار بجامعات دول شبه الجزيرة العربية، كل على حدة، وعلى الأقل يكفي الاطلاع على الخطط الدراسية في هذه الجامعات، للحكم من خلالها على هذه المقررات، وعلى حصة ما قبل التاريخ فيها، مع أنه وجدت خطة طموحة لفتح شعبة ما قبل التاريخ في جامعة الملك سعود[٢٠]، ولأهمية هذا الجانب سيتم التطرق إليه في مكان آخر من هذه الدراسة.

(٢٠) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب (١٩٩٢م). "قصة الآثار في جامعة الملك سعود، ربع قرن من العمل الدؤوب". في كتاب: دراسات في الآثار، الكتاب الأول، جامعة الملك سعود، الرياض، ص١- ٣٤، ص٢-٤.

تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية:

إن المتتبع لتاريخ الدراسات الآثارية في شبه الجزيرة العربية، سواء في العصور الحجرية، أو في غيرها، سيجد، على الرغم من التشابه الكبير بينها، أن هذه الدراسات غير متكافئة في جوانب كثيرة، بالإضافة إلى الاختلاف في تواريخ بداية كل مرحلة ونهايتها، فما بالك بالحديث عن التقسيمات الداخلية لتلك المراحل، والتي قد تُعدُّ أكثر خصوصية، من خصوصية المراحل الرئيسة نفسها، وقد تختلف كثيرًا في أعدادها، أيضًا، ولكن على الرغم من هذا الاختلاف، فإن هناك قواسم أخرى فيها كثيرة مشتركة، وهي التي ركز عليها الباحث لوضع تحقيب عام، لدراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية بأكملها، وهو التحقيب الذي كان يتألف عنده، قبل هذه الدراسة الجديدة، من مرحلتين، هما: المرحلة الأولى: وتبدأ من الربع الثاني من القرن العشرين الميلادي (منتصف القرن الرابع عشر الهجري)، وتنتهي في عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، والمرحلة الثانية: تبدأ من نهاية المرحلة الأولى، وكانت مستمرة إلى التاريخ الذي قدّم فيه ذلك التحقيب، آنذاك(٢١).

(21) Rashed A. A., 1993b. Nieolit Yujnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Petersburg.(Unpublished Abstract of Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg), in Russian, (ملخص رسالة دكتوراة غير منشورة) Rashed A.A., 1993a, op. cit.



ويرى الباحث في هذه الدراسة، على ضوء المعطيات الجديدة، أن تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، يتألف من ثلاث مراحل رئيسة، وهي: المرحلة الأولى: وتبدأ بتسجيل أولى الأدوات الحجرية منذ الربع الثاني من القرن العشرين الميلادي (منتصف القرن الرابع عشر الهجري)، عن طريق الجيولوجيين الهواة في الشركات النفطية، في الغالب، وتنتهي بتأسيس إدارات الآثار المحلية في النصف الأول من خمسينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الأول من سبعينيات القرن الرابع عشر الهجرية)، إلى جانب ظهور البعثة الدنماركية في شرقي شبه الجزيرة، في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ).

ويُعدُّ ظهور البعثة المذكورة، وتأسيس إدارات الآثار المحلية من العلامات الرئيسة المميزة لدخول المرحلة الثانية في الوقت نفسه، والتي انتهت بظهور برامج المسح والتنقيب المنتظمة الطويلة المدى عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، مع وجود شراكة، بين إدارات الآثار المحلية، والبعثات الأجنبية في هذه البرامج. في حين تبدأ المرحلة الثالثة بدءًا بظهور البرامج المذكورة في العام المذكور وهي مستمرة إلى اليوم.

وفي هذه الدراسة يقترح الباحث، كذلك، تحقيب كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث، إلى عدد من الفترات، لتكون عاملاً منظمًا لتسلسل أحداثها، وفق سياقها الزمني، والتاريخي. وعلى هذا الأساس يقترح تحقيب المرحلة الأولى، إلى فترتين، على حين يقترح تحقيب كل من المرحلة الثانية،

والثالثة، إلى ثلاث فترات. ويرى، كذلك، أن الفترة الأخيرة من المرحلة الثالثة، والتي تبدأ بدخول الألفية الميلادية الثالثة (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري)، قد ترتقي، إلى مستوى إفرادها في مرحلة رابعة جديدة، بسبب الأحداث الجسيمة التي وقعت في بداية هذه الألفية، والتي أثرت على سير الدراسات الأثرية، بالإضافة إلى ظهور مجلة (أدوماتو)، لأسباب كثيرة، وظواهر أخرى سيتم التطرق إليها في مكانها من هذه الدراسة.

المرحلة الأولى من تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية:

اتسمت المرحلة الأولى في بدايتها بجمع الأدوات الحجرية، لأول مرة، من قبل بعض الجيولوجيين الهواة في الشركات النفطية[٢٢]، وهي المرحلة التي يمكن تسميتها باختصار: بمرحلة الهواة، وصدفة الاستكشاف، والتي لم تتضمن دراسة علمية للمواقع الأثرية. وبناءً على المقترح سالف الذكر في تحقيب هذه المرحلة إلى فترتين، فإن الفترة الأولى منها، تبدأ في عام ١٩٢٥م، (١٣٤٣هـ) وتنتهي في عام ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، أو من الربع الثاني من القرن العشرين الميلادية، إلى ثلاثينيات القرن المذكور (منتصف القرن الرابع عشر الهجري إلى ستينيات القرن المذكور)، فيما تبدأ الفترة الثانية، في ثلاثينيات ذلك القرن الميلادية (خمسينيات القران الرابع عشر الهجرية)، وتنتهي بتأسيس إدارات، أو (هيئات) الآثار

(22) Smith G. H., 1928.Op. Cit.

المحليـة، وظهور البعـثة الدنماركيـة، في شـرقي الجـزيرة في عـام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)، وهـي نهـاية هـذه المرحلة، كـمـا سـبق الذكر.

وقـد استُثنيت من هذه المرحلة الإشـارات العـابرة المبكرة للرسـوم الصـخـرية[٢٣]، ومنشـآت مـا قـبل التـاريخ الحـجـرية، التـي كـانت تُلفت أنـظار الرحـالـة إليـهـا، مـثل إشـارة (وليم بالجـريف) إلى النصب الحـجرية في موقـع الرجـاجيل بسـكاكا في الشـمـال، مع أن وصـفـه لهـا بـ: (Arabian Stonehenge)، في النصف الثـاني من القـرن التـاسـع عشـر الميـلادي (النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري)[٢٤]، اسـتنادًا إلى بعض الشـبـه بينهـا، وبين النصب الحـجرية، التـي كانت قد عُـرفت قبل ذلك، في أوروبا، وخـاصة في بريطـانيـا، كان أكثـر دقة من وصف (وينت، وريد) في النصف الثـاني من القـرن العشـرين الميلادي (النصف الثاني من القرن الرابع عشـر الهـجري)[٢٥]، بينمـا اسـتبـعـد الرحـالة (فـيلبي) وجـود مـثل هـذه الـنصب في شبه الجـزيرة عامة، ليس هـذا وحسب، بل اعـتبـر تلك الإشارة، بأنها ضـرب من خيـال (وليم بالجـريف)[٢٦].

---

(23) Burkhardt J. H. 1829. Travel in Arabia. London.

(24) Palgrave William G. 1865. Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, 1862-1863.London: 251.

(25) Winnett F., Reed W. L., 1970. Ancient Records from North Arabia. University of Toronto Press, Toronto, Canada: 12.

(26) Philby H. St. J. B. 1922. The Heart of Arabia, V., 2, William Longman, London: 140- 141.

الفترة الأولى:

ارتبطت هذه الفترة بقيام بعض الجيولوجيين الهواة في بعض الشركات النفطية، بجمع أدوات حجرية، ومنها للاستشهاد في شركة النفط العراقية، الذين قاموا بجمع مجموعة من هذه الأدوات، نُشرت في وقت مبكر من قبل آخرين[٢٧]، بالإضافة إلى حديث ذُكر عن وجود أدوات حجرية في المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة، خلال استكشاف أثري قام به (هنري فيلد) شرقي الأردن، وشمال شبه الجزيرة العربية، خلال العامين ١٩٢٧-١٩٢٨م (١٣٤٥-١٣٤٦هـ). كما تحدث (هنري فيلد)، كذلك، في عمل نشر له في عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) عن الأدوات الحجرية التي جُمعت من المنطقة الشمالية، بدءًا بعام ١٩٢٥م (١٣٤٣هـ) إلى عام١٩٥٠م (١٣٦٩هـ)[٢٨]، بالإضافة إلى مجموعات حجرية أخرى كثيرة سجلها الهواة، في الغالب، خلال عملهم في شركة (أرامكو)، وفي شركات أخرى، سيُشار إلى بعضها في هذه الدراسة.

والجدير ذكره أن (هنري فيلد) من متحف (بيبودي Peabody)، التابع لجامعة (هارفارد) الأمريكية، ظهر على مسرح الأحداث في الدراسات الأثرية، إلى جانب الجيولوجيين الهواة، منذ عام ١٩٢٥م (١٣٤٣هـ)، واحتل مكان

(27) Smith G. H., 1928.Op. Cit.

(28) Field H. 1960a. "The Flint Implements", in North Arabia Desert Archaeological Survey, 1925-50. Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, V., XLV, no., 2. Cambridge, Mass.: Harvard University.



الصدارة خلال المرحلة الأولى بأكملها، والجزء الأكبر من المرحلة الثانية، أيضًا، من خلال رحلاته المتكررة إلى المملكة العربية السعودية، ولارتباطه، كذلك، بمهمَّات حكومية أخرى، فصدر له عدد من المقالات، ومنها ستذكر للاستشهاد في الفترة الأولى، إحدى مقالاته في العشرينيات الميلادية (الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجرية)[٢٩]، ومقالان في ثلاثينيات القرن المذكور (الخمسينيات الهجرية)[٣٠]. كما أن (هنري فيلد)، كان متخصصًا في البيئة الآثارية، أكثر من علم الآثار، وقد اتسم عمله بطابع الرحلات أكثر من الدراسة الآثارية الهادفة، والمنظمة، في كثير من الأحيان، وكذا فإن أكثر مقالاته كانت خبريَّة، سوى القليل منها[٣١].

ومع ذلك فقد بذل جهدًا كبيرًا في التعريف بآثار ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، إلى جانب مهامه الأخرى. فمن خلال مقالاته عُرف الكثير عن أدوات هذه العصور، وفي وقت مبكر نسبيًا، أيضًا، وكانت أنشطته الآثارية تُقام بتعاون وتمويل من قبل شركة (أرامكو)، وقد ارتبط عمله بهذه الشركة، في الأساس.

(29) Field H. 1929. "Early Man in North Arabia". Natural History:33-44.

(30) Field H. 1933. "The Antiquity of Man in South-Western Asia". Amer. Anthro., V. XXXV: 51-62, Field H.1934. "Sulle Caratteristiche geografica dell Arabia settentrionale". Bolletino della Reale Societa Geografica Italiana, Rome, V. XI: 3-13.

(31) Field H. 1971. Contribution to the Anthropology of Saudi Arabia, Miami, Florida.

ومن الذين قاموا بدراسة الأدوات الحجرية في هذه الفترة المبكِّرة، إلى جانب (هنري فِيلد)، (جورج سميث)، الذي نشر مجموعة الأدوات الحجرية التي جمعتها شركة النفط العراقية من عُمان، سالفة الذكر، في مقال واحد[٣٢]. في حين قام بجَمْع الأدوات الحجرية جماعات متنوعة من الناس، لا يمكن حصرها، وكذا فإن المجموعات الحجرية التي جُمعت، سواء أكان ذلك في هذه الفترة، أم في الفترات اللاحقة من هذه المرحلة، أو المراحل الأخرى، كثيرة هي الأخرى، وبدرجة يصعب حصرها، كذلك، ولا شك أن الكثير من الأدوات الحجرية التي جُمعت عامة من شبه الجزيرة، ما زالت في أيدٍ خاصة إلى اليوم.

كما قام، في هذه الفترة، بعض الرحالة والباحثين عن النقوش بجمع أدوات حجرية، ومنهم (فيلبي)، الذي أشار إلى وجود مواقع ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة، من خلال بعض الأدوات الحجرية التي جمعها خلال بحثه عن النقوش في الجانب الشرقي من أطراف الربع الخالي في عام ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)[٣٣]، وهي من الإشارات المبكرة عند أولئك الرحالة، والدارسين للنقوش، إلى وجود هذه المواقع، وقد استندت في هذه المرة، إلى أدوات حجرية، وليس إلى الرسوم الصخرية وحدها، وكذا الرحالة (توماس)، الذي ذكر وجود رأس سهم عثر عليه في صحراء سنام، إلى جانب تسجيله مواقع من

(32) Smith G. H., 1928, Op. cit.

(33) Philpy H. St. J., 1933." Ruba' A-lkhali". Geographic Jouyr-nal,No.,82: 1.



ذات النصب الحجرية الثلاثية (الأثافي) (Trilith)[٣٤] في وادي غيدون بعُمان في عام ١٩٢٨م (١٣٤٦هـ)[٣٥].

وقد كانت الأدوات الحجرية التي تُجمع في هذه الفترة، وخاصة من قبل الهواة، وفي أغلب فترات المرحلة الأولى، مرقّقة من الجهتين، وهي خاصة بالعصر الحجري الحديث، في المقام الأول (شكل١/ ج).

فالأدوات الحجرية المرقّقة من الجهتين، هي أكثر الأدوات التي تلفت إليها أنظار غير المتخصصين بعلم الآثار، وقد لفتت هذه الأدوات في شبه الجزيرة أنظار الجيولوجيين، ومكافحي جراد الصحراء، وبعض العسكريين، والكثير من بَدْو الصحراء، الذين حلوا بهذه المواقع. وللحقيقة التاريخية، فإن بدو الصحراء، هم الذين كانوا، وما زالوا، يرشدون الباحثين والهواة إلى مواقع هذه الأدوات.

كما سُجلت في هذه الفترة جوانب أخرى من آثار ما قبل التاريخ، وهي الفنون الصخرية، ومصادفة، أيضًا، ولنأخذ على سبيل المثال رسوم العصر الحجري الحديث الصخرية في موقع (كِلوة) بشمال شبه الجزيرة العربية، خلال البحث

(٣٤) استخدمت هذا المفهوم: أثافي، في دراسات سابقة: المعمري (٢٠٠٥م)، مصدر سابق، ليقابل المفهوم: (Trilith)، ويقصد به نصب حجرية مكونة من ثلاث أحجار متقابلة صغيرة الحجم نسبيًا مسطحة الشكل (ألواح، أو أحجار الصفاح/ صفائح)، على شكل مواقد، منضّدة من الداخل، في الغالب، بأحجار صغيرة لتنضيج اللحوم (اللحم المظبي).

(35) Thomas B.m 1832. Arabia Felix. New York.

عن النقوش[٣٦]، حيث كانت تسجل مثل هذه الرسوم، سواء في هذه الفترة، أو في فترات أخرى، بحكم وجود بعضها بجوار هذه النقوش، أو في الأماكن القريبة منها، وليس من خلال البحث عنها، بشكل هادف، لدراستها، وتقديم استنتاجات من خلالها.

علمًا أن رسوم ما قبل التاريخ الصخرية، على عكس الأدوات الحجرية، كانت قد سُجِّلت في شبه الجزيرة العربية من قبل الرحالة، منذ الربع الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (منتصف القرن الثالث عشر الهجري)[٣٧]، وفي فترات لاحقة، ومنها في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي (النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، كذلك[٣٨]، ولكن طبيعة هذه الرسوم في موقع (كلوة)، وكثرتها، جعلت المستكشفين لهذا الموقع يشيرون إليها خاصة[٣٩]، كما أن مسألة تسجيل الرسوم الصخرية نفسها، بدءًا بهذه الفترة، صارت تختلف عن إشارات الرحالة العابرة إليها من قبل، على الرغم من عدم حدوث تغيير جوهري في الهدف المصاحب لتسجيل هذه الرسوم، سالف الذكر.

(36) Horsfied G & A., 1933."Prehistoric Rock-Drawing in Transjordan". AJA., V., 37.No.,e: 381-386.

(37) Burkhardt J. H. 1829. Op. Cit.

(38) Jaussens and Savignac 1909. Mission Archealogique en Arabie. V.4, (1997) 2nd ed. Institute Francais De Archeologie Orientale, Paris.

(39) Horsfied G & A., 1933. Op. Cit.



الجدير ذكره، التنويه هنا، بأن شركات النفط والغاز، التي يُحتّم عليها إجراء دراسات بيئية خلال عملها الميداني، كان بعضها، ولا يزال، تذر الرماد في العيون، في هذا الشأن، فتؤخذ عليها مآخذ كثيرة، على الرغم من الجوانب الإيجابية التي تُسجل لها في الوقت نفسه. فهي عمومًا تأخذ الجانب الأثري في نطاق ضيق من جوانب الدراسة البيئية، وبصورة محدودة، أيضًا، وفي الوقت نفسه تتعامل معه بطريقة إبراء الذمة، لا بطريقة إجراء دراسة حقيقية له، وخاصة المواقع غير المشهورة، حتى إنها لا تتحرى من التخصص الحقيقي الذي يتفق مع طبيعة إجراء هذه المهمة أو تلك، من مهام علم الآثار المتعددة، فمهمتها في هذا الجانب، تُحدّدها بنفسها، في نطاق ما يمكن تسجيله من مواقع أثرية، وفي نطاق الحد الأدنى، من المساحة الجغرافية التي يتركز فيها بعض أنشطتها، وبسرعة في الوقت نفسه؛ بهدف رفع تقارير، مفادها عدم وجود مواقع أثرية، أو في أحسن الأحوال الإشارة إلى وجود بعض المواقع، التي يمكن اتخاذ بعض التدابير معها، في حالة الضرورة، باعتبار أن هذه الشركات مطالبة بتنفيذ تلك الدراسات تبعًا لقوانين دولية، وليس وفق دوافع ذاتية من جانبها، بهدف إضافة ما يمكن إضافته من جديد إلى التاريخ الإنساني.

ولذا فإن دراسة المواد الأثرية التي تُجمع من تلك المواقع، خلال أنشطة هذه الشركات، تترك عادة خارج نطاق دراستها الحقيقية، علمًا أن هذه المواد تُعدُّ جوهرًا لأي دراسة آثارية في هذا المجال. في الوقت الذي تُعدُّ فيه عملية جمع المواد،

وهو ما تقوم به هذه الشركات، بداية فقط لهذه الدراسة، وليست نهايتها، وبذلك فإن هذه الشركات، قد لا تختلف كثيرًا، في هذا الجانب، عمّا يقوم به الهواة، مع أنها تنفق مبالغَ تكفي للقيام بهذه المهام من بدايتها، وحتى نهايتها، وعلى أكمل وجه، إذا طرحت أهدافًا حقيقية لهذه الدراسات، وتم القيام بها من قبل متخصصين، دون المرور بشركات أخرى مقاولة.

أمَّا الأضرار التي رافقت الهواة منذ الفترة الأولى، بصورة عامة، وظلت مستمرة بطرق مختلفة إلى اليوم، فقد كانت كبيرة، على الرغم من الجوانب الإيجابية التي تسجل لهم، ومنها: دمار الكثير من المواقع التي لا تتوافر لدينا أي معلومات عنها، كما أن المواقع التي جُمعت منها أدوات حجرية، كانت انتقائية، والأكثر من ذلك انتقائية الأدوات نفسها، وفقًا لجمالها، وأذواق الجامعين لها.

فقد كان الجامعون لهذه الأدوات من اختصاصات غير آثارية، في الغالب، ومختلفين في تذوّق جمع أنواع الأدوات الحجرية، أيضًا، هذا جانب، أمَّا الجانب الآخر، فإن أغلب ما جُمع من مواد أثرية، بوجه عام، لم يدخل نطاق التداول العلمي، وما عُرف منه، كذلك، موزع على أقطار عالمية كثيرة، ومشتّت بين متاحف مختلفة، في كل من بريطانيا، وأمريكا ... إلخ، أمَّا ما ذهب إلى أيدٍ خاصة - وقد يكون أغلب ما جُمع - فقد حُرم منه تاريخ شبه الجزيرة خاصة، والتاريخ الإنساني عامة.



ومن الاستدلالات على ذلك، نذكر تنويهًا ورد في الهامش، من قبل هيئة تحرير مجلة (Man)، التي نشر فيها (كورنول Cornwall) خبره عن الفأس الآشولي، حسب تصنيفه، من واحة الأحساء[٤٠]، وهو: أن (كورنول) جمع كمية كبيرة من الرؤوس، والأدوات الأخرى، وهي الأدوات التي لم تُنشر في ذلك المقال، ولا في المقال الآخر الذي نشر في العام نفسه[٤١]، إلا بعض الملاحظات عن وجود مواقع للأدوات الحجرية. كما ذكر (كورنول) بدوره في المقال نفسه[٤٢]: أن المهندس (باور Baur) جمع فؤوسًا آشولية من الدوادمي. وهي من الأدوات التي لم يُعرف مصيرها أيضًا.

وكذا فإن مجموعة الأدوات الحجرية التي جمعها الجيولوجي (هُولِم) في عام ١٩٥٥م (١٣٧٤هـ)، من موقع جلدة في الربع الخالي، ظلّت خاصة به، ولكن عندما قدّمها مؤقتًا للعرض في متحف (بيبودي Peabody)، كان من حُسن مصيرها أن وقع عليها نظر (فيليب سميث) من قسم الأنثروبولوجيا بجامعة (تورنتو) الكندية، إلى جانب مجموعة أخرى من موقع شرورة رقم (٧)، جمعها في العام نفسه (مرنجيان)، وهو واحد من أعضاء فِرق مكافحة جراد

(40) Cornwall P. B., 1949a. ."Lower Paleolithic Hand- Axe from Central Arabia". Man, V. XLV1, 121: 144.

(41) Cornwall P. B., 1949b. "Ancient Arabic: Explorations in Hasa, 1940-1941". The Geographic Journal, No.107.

(42) Cornwall P. B., 1949a, Op. cit.

الصحراء، وأهديت هذه المجموعة لمتحف (بيبودي)، فأقنع (سميث) من له صلة بهاتين المجموعتين، السماح له بدراستها، ونشرها، وبالتالي عرفها العالم من خلاله[٤٣]، في وقت ما زال مصير الكثير من تلك الأدوات، غير معروف إلى اليوم.

كما أن بعض المواقع التي ذُكرت في تلك المقالات لم تُحدَّد أماكنها بشكل دقيق، ولم تكتب أسماء بعضها بشكل صحيح، كذلك، ومع ذلك فإن ما ظهر من أدوات حجرية في الدورة العلمية لا يُقدر بثمن، بفضل تلك الجهود، ولكن هذا ليس مبررًا، لمن له الحق، بمقاضاة الشركات التي أحدثت أضرارًا بمصادر كثيرة من مصادر التاريخ الإنساني عامةً، لأنها كانت تعي تمامًا ما يجب عليها فعله في هذا الجانب، مع أن هذه الشركات موّلت بحوثًا أثرية كثيرة، متضمنًا ذلك أعمال البعثة الدنماركية، من قبل الشركات النفطية القطرية، وقد حظيت هذه البعثة بتمويل من الحكومة القطرية نفسها. وبإيجاز شديد يمكن وصف الفترة الأولى من المرحلة الأولى بفترة الهواة وصدفة الاستكشاف.

الفترة الثانية:

بدأت هذه الفترة، بظهور أولى البعثات الآثارية في بداية النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الأول من خمسينيات القرن الرابع عشر الهجرية)،

(43) Smith E. L., Maranjian G., 1962. "Two 'Neolithic' Collections from Saudi Arabia". Man, 17: 21-23.



والتي أخذت، بصورة ثانوية، بدراسة الأدوات الحجرية، وانتهت هذه الفترة بتأسيس إدارات الآثار المحلية، وظهور البعثة الدنماركية في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ) في شرقي شبه الجزيرة العربية. وما يميز هذه الفترة عن الفترة الأولى، إلى جانب وجود أنشطة هذه البعثات، ظهور الدفعة الأولى من سلسلة المقالات المتلاحقة التي سادت في الخمسينيات، واستمرت إلى بداية الستينيات من القرن العشرين، إذ كان لها الدور الكبير في التعريف بوجود عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية.

ويمكن اعتبار نشاط البعثة المصرية من جامعة القاهرة في جنوب شبه الجزيرة في عام ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ) بقيادة (حُزِّين)[٤٤]، بداية لهذه الفترة، باعتبار أنها كانت بعثة آثارية رسمية، وفي الوقت نفسه أشارت إلى وجود الأدوات الحجرية، إلى جانب مهمتها الأساسية الأخرى، وهي دراسة معالم الحضارة السبئية. فقد ذكرت وجود أدوات حجرية بوادي حضرموت لأكثر من عصر من عصور ما قبل التاريخ، ومن ذلك بعض الأدوات الحجرية القزمية الهندسية الشكل (Geometrical Microlith Tools) التي أشارت إلى وجودها بقرية المشهد (في ريبون)، على الرغم من أنها لم تقم بدراسة هذه الأدوات، ولم تنشر حتى أشكالاً إيضاحية لأي منها، فقد كان ذلك حديثًا عابرًا، ومقتضبًا جدًا، وبدون تقديم أي

(44) Huzayyin S.A., 1937."Egyptian scientific expedition to South-West Arabia". Nature, sept.18:513-514.

نماذج، بعتبارها أدلة على ذلك الحديث، ولذا فقد نُسي ذلك الذكر، ولا تجد من الباحثين من يشير إليه، في الغالب، ومع ذلك فهي فترة تختلف عن الفترة الأولى. علمًا أن البعثات الأوروبية كانت قد ظهرت في شبه الجزيرة قبل البعثة المصرية، ولكنها لم تأخذ بالأدوات الحجرية، مع أن تسميتها ببعثات قد يكون مجازًا، على اعتبار أنها كانت تتكون من شخص واحد، أو شخصين، ولنذكر على سبيل المثال، مرة أخرى، تسجيل رسوم العصر الحجري الحديث الصخرية في (كِلوة) بشمال شبه الجزيرة، خلال البحث عن النقوش(٤٥)، في الوقت الذي لم تُجمع فيه أي نماذج من الأدوات الحجرية، سواء من (كلوة)، رغم وجودها في هذا المواقع، أو من المواقع الأخرى.

أمَّا البعثة الثانية التي أخذت بدراسة أدوات ما قبل التاريخ في هذه الفترة، فهي البعثة الإنجليزية بدءًا بعام ١٩٣٧م (١٣٥٦هـ)، ولكن دراسة هذه الأدوات كانت بصورة ثانوية عندها، أيضًا، وما نشرته من أدوات كان قليلاً جدًا، وفي وقت متأخر(٤٦)، بالمقارنة بنشر نتائج دراسة معبد القمر في حريضة بحضرموت(٤٧)، ولم يكن ذلك هو الهدف

(45) Horsfied G & A., 1933, Op.cit.

(46) Caton-Thompson G., 1953. "Some Palaeoliths from South Arabia". Proceeding of the Prehistoric Society. New Series, London, December, V. XIX: 189-218.

(47) Caton-Thompson G., 1944. The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut). Oxford: Oxford University Press.



الأساس لتلك البعثة وحسب، بل إن (كَتون طمسون) أرادت أن تحل مشاكل العصور الحجرية بجنوبي شبه الجزيرة بأكملها، دفعة واحدة، وبهذا النزر اليسير من الأدوات، فوقعت في أخطاء كثيرة، لن نقف عندها هنا، رغم أن مقالها عن هذه الأدوات، يُعدُّ أول دراسة مفصلة في هذا الجانب، في شبه الجزيرة عامة، وفيما يتعلّق بالعصر الحجري القديم خاصة.

وفي تقدير الباحث، أن (كَتون طمسون) طرحت مهمة دراسة أدوات ما قبل التاريخ في حضرموت، بحكم تخصصها في العصور المذكورة، وبحكم الانتشار الواسع للأدوات الحجرية، والتي لا تخلو منها حتى جوانب الكثير من الطرقات، وبصورة لا يمكن لأي متخصص في هذا المجال أن يمر عليها دون أن يُحرك لها ساكنًا. فهذا الانتشار، هو الذي فرض، طرح مهمة دراسة العصور المذكورة على كل من البعثة الأمريكية، التي عملت في حضرموت في النصف الأول من ستينيات القرن العشرين، والسوفيتية اليمنية المشتركة، التي عملت في هذا الوادي، أيضًا، بدءًا بعام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ)، ولكن طرح (كَتون طمسون) لهذه المهمة كان في نطاق ما يمكن العثور عليه من أدوات حجرية بالصدفة، وفي طريقها من مدينة المكلاّ، على ساحل البحر العربي، إلى حضرموت الداخل، ومنها سيئون وشبام، ووادي عمد، حيث يقع معبد القمر في حريضة، الذي قصدته الباحثة المذكورة، واستقرت تعمل فيه، في الغالب، وليس وفق هدف خاص، وخطة مستقلة لدراسة هذه العصور.

والحال نفسه في هذه الفترة مع الرسوم الصخرية، فقد قام كل من: (ريكمانز، وليبنز، وفيليبي) في البعثة البلجيكية في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين الميلادية (أوائل السبعينيات من القرن الرابع عشر الهجرية)، بنسخ كمية كبيرة منها، في حِمى، ووادي تثليث، وأماكن أخرى من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وهي الرسوم التي قام بدراستها، بعد ذلك، ونشرها (أناتي) في أربعة مجلدات(٤٨)، وكذا فعل آخرون من دارسي النقوش في أماكن أخرى، وفي الوقت نفسه استمر هواة الآثار في جمع الأدوات الحجرية التي يجدونها بالصدفة، ولكن مع البحث عنها، في هذه الفترة، في الأماكن التي شملتها أنشطتهم، بعد أن عرفوها، وانتشرت الأخبار عنها كثيرًا، ولكن طريقة الجمع، غير المنظمة، لتلك الأدوات، وغير الهادفة لدراسات آثارية، بقيت سائدة عند الهواة، أو عند من قام بجمع هذه الأدوات من غير الآثاريين في هذه الفترة، في الغالب.

ومن الأدوات الحجرية التي جُمعت في الأربعينيات من القرن العشرين، إلى جانب أدوات العصر الحجري الحديث، وقيل إنها تعود إلى العصر الحجري القديم، يمكن الاستشهاد على ذلك، بما قال عنه (كورنول Cornwall): إنه (فأس

(48) Anati E., 1968. Rock Art in Central Arabia, V. 1-2. Bibliotheque du Museon Louvain: Institut Oreintaliste, Universite de Louyvian, Anati E., 1973. Rock Art in Central Arabia, V. 3-4. Bibliotheque du Museon Louvain: Institut Oreintaliste, Universite de Louyvian.



آشولي؟) وجده في واحة الأحساء بالمنطقة الشرقية[٤٩]، مع أن وجود العصر الآشولي في شرقي الجزيرة العربية، يعد من المسائل غير المؤكدة إلى اليوم.

وقد ذكر (كورنول) بدوره، أن المهندس (باور Bauer) جمع فؤوسًا آشولية، من منطقة الدوادمي بوسط شبه الجزيرة، وهو ما تم تأكيده، بالفعل، خلال برنامج المسح الآثاري الشامل الذي أُجْري بدءًا بعام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ) في وسط شبه الجزيرة[٥٠]، حيث عُثر على مواقع آشولية في المنطقة المذكورة.

أمَّا ما يخص ظهور البداية الأولى، أو (الدفعة الأولى) من سلسلة المقالات المتلاحقة الخاصة بالأدوات الحجرية التي سادت في الخمسينيات الميلادية (السبعينيات الهجرية)، فهي: الأدوات القزمية الهندسية الشكل التي أوردتها (كتون طمسون) في الكتاب الخاص بمعبدالقمر في حضرموت[٥١]، ومقالتا (كورنول)، سالفتا الذكر، ومقالة (هنري فيلد) الخبريّة[٥٢]، ومقالة مكافح جراد الصحراء (بانكر)[٥٣]، مع أن مقالة (بانكر) الخبرية، ظهرت في نهاية المرحلة الأولى وبداية المرحلة الثانية.

(49) Cornwall P. B., 1949a.Op. Cit.

(50) Whalen N., 1983, Op. cit.

(51) Caton-Thompson G., 1944. Op. Cit.

(52) Field H. 1951. "Reconnaissance in Saudi Arabia". Journal Royal Center Asia Soc., V. XXXVIII: 185-197.

(53) Bunker D. G., 1953.Op.Cit.

ويمكن تلخيص سمات الفترة الثانية من المرحلة الأولى - بالإضافة إلى استمرار طريقة جمع الأدوات الحجرية بطريقة الصدفة التي كانت سائدة في الفترة الأولى- ظهور أولى البعثات الأثرية ذات الأنشطة القصيرة، والمتقطعة، والأحادية الجانب في الدراسة، والتي تناولت دراسة الأدوات الحجرية بصورة ثانوية، إلى جانب ظهور الدفعة الأولى من سلسلة المقالات، سالفة الذكر، والتي بدأ المهتمون من خلالها بمعرفة وجود مواقع ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية. وبإيجاز شديد يمكن وصف الفترة الثانية من المرحلة الأولى بالدراسة المتقطعة، وغير الهادفة للأدوات الحجرية عامة.

المرحلة الثانية من تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة:

تمتد المرحلة الثانية من تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة، من عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)، إلى عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، وتتميز بعدد من السمات، من أهمها:

١ - ظهور البعثة الدنماركية في شرقي شبه الجزيرة ببرنامج طويل المدى، وأخذها بدراسة عصور ما قبل التاريخ بصورة هادفة.

٢ - تأسيس إدارات، أو (هيئات) الآثار المحلية الأولى في دول شبه الجزيرة، بالإضافة إلى ظهور أولى القوانين الخاصة بتنظيم العمل الآثاري، وحماية الموروث الثقافي والحضاري عامة.



٣ – ظهـــور الطـلائع الأولـى من الآثاريـين المحليين، والـتي كان لهـا الدور الكبيـر فـي نشـر الـوعي الآثاري، عمـومًا، مع إقامة الـرحلات الآثارية الأولـى، إلـى جانب العمل على نقل هذا العلم إلـى عامـة الناس، من خلال وسـائل الإعلام، مع عرض بعض الأفلام(٥٤).

٤ – تأسيس الدفعة الأولى من جمعيات التاريخ والآثار.

٥ – صـدور سلسلة المقـالات المتـلاحـقـة عن أدوات العـصـر الحـجـري الحـديث، طوال الخـمـسـينيـات (السـبـعـينيـات)، وبداية السـتـينيـات من القـرن العـشـرين الميـلاديـة (بداية الثـمـانينيـات من القـرن الرابع عشـر الهـجـرية)، والتي كـان لهـا الدور الكبيـر في التعـريف بعصور مـا قبل التـاريخ في شبه الجزيرة.

٦ – تدريس علم الآثار في بعض الجـامـعـات، ويتـضـمن ذلك مـعلومـات عـامـة عن عـصـور مـا قـبل التـاريخ، فـي نطاق أقسام التاريخ بكليات الآداب.

٧ – ابتعاث أول الدارسين للآثار من أقسام التاريخ.

٨ – ظهور الأنشطة الآثارية الميـدانية المحلية، ويتمثل ذلك في تشكيل أولى البعثات، وهي من الظواهر المهمة لهذه المرحلة.

٩ – تأسـيس عـدد من المتـاحف، إذ كـان لهـا دور في الحـفـاظ على المواد الأثرية، ومنهـا الأدوات الحـجـرية، إلـى جـانب ظهور أنشطة أخرى ذات صلة بالآثار عامة.

(٥٤) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق، ص٢–٤.

١٠ - تزايد عـدد البـعـثـات الأجنبـيـة، وفق برامج قـصيـرة، ومـتـقطعـة في الدراسـة الميـدانيـة، وأحـادية الجـانب في الغالب، ومنها بعض البعثات التي سجلت عددًا من مواقع ما قبل التاريخ. وستأتي تفاصيل هذه السمات، أو أمثلة على ذلك، في مكانها الخاص من هذه الفقرة، أيضًا.

ويمكن تحقيب نشاط البعثة الدنماركية في شرقي شبه الجـزيرة، في نطاق المرحلة الثانيـة بفتـرتين: الفتـرة الأولى تميزت بالتركيز على دراسة المعالم الحضارية، مع تسجيل بعض الأدوات الحجرية التي كانت تُصادف خلال ذلك العمل، من وقت لآخر، في حين تميزت الفترة الثانية، بالإضافة إلى دراسة معالم الحضارة، بدراسة عصور ما قبل التاريخ بصورة هادفة ومنتظمة، على مدى خمسة مواسم متتالية(٥٥).

كمـا يمكن أن يُحَـقَّب تاريخ إدارات الآثار المحلية، بثـلاث فتـرات رئيسـة، وهـي: فتـرة التأسيس، وفتـرة البـدء بالأنشطة الميدانية المستقلة، وفترة الشراكة مع البعثات الأجنبية، وهي الفتـرة المستمرة إلى اليوم، مع استمرار هذه الهيئات، في تنفيذ بعض الأنشطة الميدانية المستقلة المتقطعة.

فيما يمكن تحقيب تدريس الآثار بجامعات شبه الجزيرة، متضمنًا ذلك تدريس ما قبل التاريخ، بثلاث مراحل، أو (ثلاث فترات)، كذلك، وهي: فترة تدريس الآثار في نطاق

(55) Kapel 1967. Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar. Jutland Archaeological Society Publications, V. VL. Copenhagen: Jutland Archaeological Society.

أقسام التاريخ[٥٦]، ومنها تقديم معلومات عامة عن عصور ما قبل التاريخ، وفترة فتح أقسام الآثار بصورة مستقلة، وفيها ظهرت مقررات خاصة، وتفصيلية بآثار ما قبل التاريخ، وفترة تشكيل الكليات المزدوجة، بين الآثار، والسياحة، كما هو الحال في جامعة الملك سعود، فتوسعت فيها مقررات ما قبل التاريخ، ولا يُستبعد أن تأتي فترة رابعة، لتشكيل كليات مستقلة للآثار، وفيها تُفتح شعب مستقلة، لعصور ما قبل التاريخ، وقد كان تدريس هذه العصور حاضرًا في هذه الفترات الثلاث، مع اختلاف في كيفية المقررات وكميتها.

الفترة الأولى:

تضم الفترة الأولى من المرحلة الثانية كلاً من: الفترة الأولى من تأسيس إدارات، أو (هيئات) الآثار المحلية، بالإضافة إلى الفترة الأولى من نشاط البعثة الدنماركية في شرق الجزيرة بدءًا بعام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)[٥٧]، إلى جانب صدور سلسلة المقالات المتلاحقة عن الأدوات الحجرية، وتنتهي هذه الفترة بتبني البعثة المذكورة في برنامجها دراسة عصور ما قبل التاريخ في عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، بصورة هادفة ومنتظمة.

ارتبطت بداية تأسيس إدارات الآثار المحلية بمؤسسات أخرى، في الغالب، منها وزارة المعارف، والإعلام، وأغلبها

(٥٦) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق.

(57) Glob P. V., 1954. "The Flint Sites of the Bahrain Desert'. Kuml: 106- 155.

مـا زالت ملحـقـة بمؤسـسـات أخـرى إلى اليـوم، أو (غـيـر مستقلة)، وعلى سبيل المثال فقد ظهرت في البحرين جمعية تاريخ وآثار البحرين في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)، بحكم وجود أول نشاط للبعثة الدنماركية فيها، والتي كان لها دور في الإشـراف على عـمل هذه البـعـثـة، وهـي على الأرجح أولى الجمعيات ذات الصلة بالنشاط الآثاري، التي تشكلت، آنذاك، في شبه الجزيرة العربية. ونذكر للاستشهاد كذلك، تأسيس دائرة الآثار والمتاحف في الكويت في الخمسينيات من القرن العشـرين الميلادية (السـبعـينيـات من القـرن الرابع عـشـر الهـجـرية)، في إطار دائرة المعـارف، والتي كـان لهـا دور في الإشـراف على نشـاط تلك البعثة في جزيرة (فيلكا)، ذلك النشاط الذي بدأ في الكويت في عـام ١٩٥٨م (١٣٧٧هـ). كما أن ظهور نشـاط البعثة الدنماركية في قطر، وفي الإمارات العربية المتحدة، ساعد هو الآخر على ظهور هذه الأشكال الأولى لإدارات الآثار المحلية فيهما، ومنها مسألة التعامل، آنذاك، مع البعثة المذكورة، بغض النظر عن التسميات، أو ارتباط هذه الأشكال ببعض الدواوين، أو المؤسسات الأخرى.

فقد أوكِلت إلى هذه الإدارات المحلية دراسة الآثار، وحماية الموروث الثقافي، والحضاري عامة، والحفاظ عليه، ومن ذلك وضع الاتفاقيات مع البعثات الأجنبية، والإشـراف على أنشطتها الميدانية، وتطبيق القوانين المرتبطة بحماية هذا الموروث، وهناك من استطاع منها القيام ببعض أعمال المسح، والتنقيب، بعد فترة من تأسيسها، في حين ظل بعضها الآخر

في نطاق الإشراف على نشاط البعثات الأجنبية ومراقبته، إلى جانب القيام بأنشطة أخرى، خارج نطاق التنقيب الآثاري.

كما بدأت الفترة الأولى من المرحلة الثانية، كذلك، بدءًا بالموسم الأول لبرنامج البعثة الدنماركية الطويل المدى في عام١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)[٥٨]. وأمَّا أنشطة البعثة المذكورة فقد تركّزت في هذه الفترة على دراسة معالم حضارة (دلمون) في البحرين، وبعدها على معالم الحضارة بوجه عام في دول الخليج العربي الأخرى، فيما ظلت دراسة العصور الحجرية فيها تتم بطريقة الصدفة[٥٩]، وليس وفق أهداف مستقلة.

فقد بدأ نشاط البعثة المذكورة في قطر في عام ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ)، فيما بدأ في الإمارات العربية المتحدة في نهاية عام ١٩٥٨م (١٣٧٧هـ)، وبداية عام ١٩٥٩م (١٣٧٨هـ)[٦٠]. ولذا فإن الإمارات العربية أحيت في عام ٢٠٠٩م (١٤٣٠هـ) ذكرى مرور خمسين عامًا على بداية البحوث الآثارية فيها، وهي ظاهرة تلفت الانتباه، وجديرة بالوقوف عندها، مع أن الآثار العربية نفسها تدرَّس بجامعة العين، بغير اللغة العربية، علمًا أنها من مضامين الهوية العربية الأساسية. وفي عُمان وجدت أنشطة للبعثة الدنماركية في عام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، مع أن النشاط الرئيس المنتظم لهذه البعثة كان قد انتهى في عام ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ)، كما ذكر ذلك القائمون عليها[٦١]،

(58) Glob P. V., 1954.Op. cit.

(59) Glob P. V., 1954.Op. cit.

(60) Kapel 1967. Op. Cit.

(61) Kapel 1967. Op. Cit.

لتبدأ بعدها أنشطة أخرى متقطعة، ومن ضمنها أنشطة لآثاريين دنماركيين في شرقي شبه الجزيرة.

كما تزامن مع بداية عمل البعثة الدنماركية، صدور المجموعة الأولى من سلسلة المقالات المتعاقبة عن أدوات العصر الحجري الحديث، والتي كان لها دور كبير في التعريف بوجود عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، ومنها نشر المجموعة الحجرية التي قامت (كتون طمسون) بجمعها من حضرموت خلال فترة عملها في معبد القمر بحريضة(٦٢)، ومجموعات حجرية أخرى جُمعت من الربع الخالي في خمسينيات القرن العشرين الميلادية (سبعينيات القرن الرابع عشر الهجرية)، نشرها (هنري فيلد)(٦٣)، بالإضافة إلى مجموعتين أخريين، جمعهما الهواة، من الربع الخالي، من ضمنهم (بانكر)، والذي ظهرت له مقالة خبرية، أيضًا، في هذا الجانب في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ)(٦٤)، بينما قام بدراسة هاتين المجموعتين ونشرها (زيونر) الأستاذ بجامعة لندن، بعد أن وقعتا بيده، وتُعد مقالته من المقالات الجادة والتفصيلية، عن أدوات العصر

(62) Caton-Thompson G., 1953.Op. Cit.

(63) Field H. 1955. "New Stone Age Site in the Arabia Peninsula". Man, 145:139- 138, Field H. 1956. Ancient and Modern Man in South-Western Asia. University of Miami Press. Coral Gables, Florida, pp. 98f. and Appendix D., Field H. 1958. "Stone Implements from the Rub' Al-khali, Southern Arabia". Man,121: 93-94.

(64) Bunker D. G., 1953.Op.Cit.



الحجري الحديث في تلك الفترة[٦٥]، بعد مقالة (كتون طمسون) سالفة الذكر.

وما يجدر ذكره في هذا السياق، أن التحقيب الذي وضعه الباحث لدراسات عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة، في دراسات سابقة[٦٦]، والذي كان يتألف من مرحلتين، سلف ذكرهما، بُنِي على أساس مستوى الدراسات الأثرية نفسها[٦٧]، وليس على أساس ظهور الأشكال الراعية لها، كإدارات الآثار المحلية، من عدمه، خاصة أن هذه الإدارات انحصر دورها فترة طويلة من الزمن في مسألة منح التراخيص للبعثات الأجنبية، في الغالب، ولم يكن بمقدورها إحداث أي أثر ملموس في مستوى الدراسات الآثارية نفسها، لعدم وجود الكادر المحلي، أو ندرته، آنذاك. وفي هذه الدراسة يرى الباحث أنه على الرغم من تواضع دور هذه الهيئات المحلية، ومحدوديته فترة طويلة، فقد كان لها دور في بعض جوانب الإشراف على أعمال البعثات الأجنبية، إلى جانب عقد الاتفاقيات، إلى أن وصلت هذه الأنشطة، بالتدريج، إلى مستوى الشراكة مع البعثات الأجنبية في البرامج الميدانية الطويلة المدى في المرحلة الثالثة، إلى جانب قيامها بأنشطة أخرى مستقلة، مرتبطة بالدراسات الآثارية، بشكل عام، ولذا فقد رأى الباحث إفراد مرحلة خاصة بظهور

(65) Zeuner F.E., 1954. "Neolithic" Sites from the Ar-Rub' Al-Khali, Southern Arabia". Man, No.209:133-136.

(66) Rashed A.A.,1993a. Op. cit . Al-Ma'mari A.R.,2001.Op.Cit.

(67) Al-Ma'mari A.R.,2001.Op. cit.

هذه الإدارات المحلية إلى جانب نشاط البعثة الدنماركية، بالإضافة إلى الظواهر الأخرى المرتبطة بالجوانب الاثارية المختلفة، سالفة الذكر.

الفترة الثانية:

تميزت الفترة الثانية من المرحلة الثانية بظهور منعطف جديد في دراسة ما قبل التاريخ في شرقي شبه الجزيرة، تمثل ذلك بتحديد برنامج خاص لدراسة العصور الحجرية في نطاق البعثة الدنماركية، بدءًا بعام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وقد تزامن ذلك الحدث مع ظهور (هولجر كابل) على مسرح الدراسات الآثارية في العام المذكور، وهو الموسم الخامس من عمل هذه البعثة في قطر، بدءًا بعام ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ)، كما سلف الذكر. وقد يكون عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) هو بداية الدراسة الهادفة، الطويلة المدى، والمنتظمة لهذه العصور، والتي تلاحقت، بعد ذلك، في دول شبه الجزيرة العربية في فترات زمنية مختلفة. وقد استمر البرنامج المذكور خمسة مواسم متواصلة من نشاط تلك البعثة، بدءًا بالعام المذكور، إلى عام ١٩٦٤م (١٣٧٣هـ).

فقد خُصِّص (هولجر كابل) في هذه البعثة، وبشكل رئيس، لدراسة ما قبل التاريخ في الفترة المذكورة[٦٨]، وهنا يجب أن نستذكر من التاريخ أن (الإسكندنافيين)، بشكل عام، غير مصابين كثيرًا "بالغُلو" من حيث المبدأ، إن صح استخدام هذا التعبير، أو بالدور المبالغ فيه كثيرًا عند كثير من الأوروبيين الغربيين،

(68) Kapel, 1967, Op. Cit.

للحضارتين اليونانية والرومانية، في تأثيرهما، حسب اعتقادهم، على نشوء الحضارات المتأخرة في العالم القديم. فقد كانت (إسكندنافيا) في منأى عن هاتين الحضارتين وتأثيراتهما.

ولذا فقد ظهرت أسس علم ما قبل التاريخ في (إسكندنافيا)، قبل ظهورها في دول أوروبا الأخرى؛ لأن همّها، لم يُكن مكرسًا، في البحث عن ذلك التأثير، ومن المحتمل أن يكون هذا الجانب قد عكس نفسه، بصورة غير مباشرة، على نشاط البعثة المذكورة في شرق شبه الجزيرة. فهي أول بعثة دَرَست ما قبل التاريخ بشكل هادف ومنتظم، ومن خلال برنامج طويل المدى، بالإضافة إلى أن الفترة التاريخية نفسها، كانت قد نضجت لقيام مثل هذا النوع من الدراسات، خاصة بعد ظهور سلسلة المقالات، سالفة الذكر.

كما وُجدت في هذه الفترة بعض الأنشطة الآثارية المتقطعة، سواء من قبل أفراد، أو بعض البعثات، المكونة، هي الأخرى، من بضع أفراد كذلك، في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، مثل بعثة جامعة (تورنتو) الكندية في عام١٩٦٢م (١٣٨٢هـ) في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة، مع أنها لم تهتم بآثار ما قبل التاريخ، إلا بعض القطع الفخارية، التي جمعتها بطريقة عشوائية، والتي يُحتمل أن تكون بينها بعض القطع السابقة لظهور الكتابة[٦٩]،

(69) Winnett F. W., & Reed W. L., 1970. Op. Cit., Winnett F. W., & Reed W. L., 1973."An Archaeological-Epigraphical Survey of the Ha'il Area of Northern Sa' udia Arabia". Berytus, V., 22: 53- 100.

علمًا أن الأدوات الحجرية كانت قد عُرفت في كل من المنطقتين الشرقية والشمالية، منذ النصف الثاني من عشرينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجرية)[٧٠].

كما سُجِّل في هذه الفترة كذلك، موقع آشولي في جبل تلع في لحج في عام ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ) في اليمن، والذي نشر عنه (دو Doe) بعض المعلومات المحدِّدة لهويته المرحلية في وقت لاحق، إلى جانب أنشطة أخرى قام بها، أيضًا في فترات لاحقة[٧١]، وكذا تسجيل النصب الحجرية، أو (الميغاليثية) في موقع غنم الكفار قرب أحْوَر في العام نفسه. كما سجّل الجيولوجي (فليب كمبردج) في البريقة (عدن الصغرى) مستوطنة تضم أكوامًا من القواقع والأصداف مع العظام، والأدوات الحجرية، أيضًا[٧٢]، كما هو الحال في موقع النَّبْوة، وقَعْوة، وخور عُمَيْرة غير البعيدة عن عدن الصغرى. بالإضافة إلى أنشطة الباحث الإنجليزي (هاردنج)[٧٣]، والبعثة الأمريكية بقيادة (فان بيك) عام ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ) بحضرموت[٧٤].

(70) Field H. 1960a, Op. cit.

(71) Doe B., 1971. Southern Arabia. London.

(72) Cambridge Philip 1966.: "The Shell Eaters ", Aden Magazine, No.12. Aden: 22-24.

(73) Harding G.L., 1964. Archaeology in the Aden protectorates. London, H.M. Stationary Office.

(74) Van Beek G., Cole G., Jamme A., 1964, Op. cit.



وإلى جانب هذه الأنشطة التي قامت بها بعض البعثات، استمر الهواة في جمع الأدوات الحجرية في هذه الفترة، أيضًا، سواء أكان ذلك في جنوبي شبه الجزيرة العربية، أم في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، بوجه عام، وقد يكون من الجديد في قائمة جمع الأدوات الحجرية من قبل الهواة، أن تُضمّ إليهم فئة أخرى جديدة، تمثلت في بعض الهواة العسكريين في جيش الاحتلال البريطاني، فمن خلالهم عُرفت مجموعتان من تلك الأدوات الحجرية في وادي (حبروت) بالمهرة، دون معرفة تاريخ جمعهما، إحداهما جمعها ضابط يدعى (هوكنس Hawkins)، نشرت في عام ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ)[٧٥]، والأخرى جمعها ضابط آخر يُدعى (مايكل كُروتش)، قام بنشرها (هاردنج) في عام ١٩٦٤م (١٣٨٤هـ)[٧٦].

كما استمر في هذه الفترة صدور سلسلة المقالات عن أدوات العصر الحجري الحديث، ومنها مجموعة الأدوات الحجرية التي وقعت بيدي (سميث)[٧٧] من جامعة (تورنتو) بكندا، سالفة الذكر، والذي قام بدراستها ونشرها، وبصورة أكثر تفصيلاً من مقالة (زيونر)، وقدم من خلالها، معلومات أوسع، عن العصر المذكور، بشكل عام، بالإضافة إلى مقالة (جارود)[٧٨]

(75) Payne J.C., Hawkins S.A., 1963.Op. Cit.

(76) Harding G.L., 1964, Op. cit.

(77) Smith E. L., Maranjian G., 1962, Op. cit.

(78) Garrod D., 1960. The Flint implements. North Arabian Desert archaeological survey. Cambridge,(the Peabody Museum, V. 45).

عن أدوات حجرية من المنطقة الشمالية، ومقالات (هنري فيلد)[٧٩] عن عدد من المواقع في الربع الخالي.

وتشكل في هذه الفترة عدد آخر من هيئات الآثار، ومنها هيئة الآثار والمتاحف والمخطوطات في اليمن في عام ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ)، مع أن نواتها الأولى بدأت خلال بعثة (وندل فليبس) الأمريكية، في الخمسينيات الميلادية (السبعينيات الهجرية)، كما ظهرت إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية في العام نفسه، إلى جانب حدوث تطوير في الأشكال السابقة، والتي كانت أغلبها في دور التأسيس، ومنها دائرة الآثار في الكويت التي ضُمت في عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ) إلى وزارة الإعلام، وظهور دائرة الآثار والسياحة في عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ) بالإمارات العربية المتحدة ... إلخ. ليس هذا وحسب، وإنما صدر في الكويت، كذلك، قانون حماية الآثار في عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) حدِّد بموجبه: أن كل مادة يبلغ عمرها أربعين سنة تُعَدُّ مصدرًا أثريًا يستحق التوثيق والدراسة، تلاه بعد ذلك صدور القوانين الخاصة بحماية الآثار في دول شبه الجزيرة في فترات مختلفة.

وفي هذه المرحلة افتُتح عدد من المتاحف التي احتوت على بعض الأدوات الحجرية التي كانت تصل إليها أحيانًا، سواء

(79) Field H. 1960a, Op. cit., Field H. 1960b. "Stone Implements from the Rub' Al-khali". Man, 30: 25- 26, Field H. 1961. Ancient and Modern Man in South-Western Asia. University of Miami Press:293.



قامت بعرضها، أو تخزينها فيها، في الغالب، وتأتي في المقدمة الكويت، أيضًا، حيث افتتح فيها عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ) أول متحف للجمهور في بيت من بيوت عبدالله الجابر الصباح، الذي كان رئيسًا لدائرة المعارف، آنذاك، وهو أول متحف على الأرجح فتح للجمهور في شبه الجزيرة العربية، وانتقل بعدها إلى بيت البدر عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، وفي عام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ) إلى المبنى الحالي. علمًا أن المتحف العُماني الفرنسي في مسقط يعود تاريخه إلى عام١٨٩٦م (١٣١٤هـ)، ولكنه كان في مبنى تشغله القنصلية الفرنسية، وليس متحفًا للجمهور، حيث قدّمه السيد فيصل بن تركي هدية، باعتباره مجموعة خاصة، لأول قنصل فرنسي قدم إلى عُمان، ولذا فإن من الصعب تصنيفه، لهذه الخصوصية، ضمن مفهوم المتاحف، فهو قد يندرج تحت مفهوم المجموعات الأثرية، أو المتاحف الخاصة. كما عُرف في هذه الفترة أول تاريخ مطلق بالكربون [١٤] للعصر الحجري الحديث من صحراء الربع الخالي(٨٠).

الفترة الثالثة:

تمثل الفترة الثالثة، والأخيرة في هذه المرحلة، النطاق الفاصل بين نهاية عمل البعثة الدنماركية الطويل المدى في شرقي الجزيرة العربية، بقيادة (بيبي، وجلوب)، والذي توقف، كما ذكر قادتها، بشكل رسمي في عام ١٩٦٥م

(80) Field H. 1960c. "Carbon-14 Date for a 'Neolithic' Site in the Rub' al-khali". Man, no, 214:172, Kapel 1967, Op. cit.

(١٣٨٥هـ)[٨١]، وظهـور البـرامج الطويلة المدى المتـعـددة الأوجـه للدراسـات الآثاريـة، والتي بدأ أولهـا في عـام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، في كل من شـرق شـبـه الجـزيرة العـربيـة ووسطها.

فقد تميزت هذه الفترة بظهور عدد من الأنشطة المهمة، منها أنشطة ميدانية، أغلبها كانت قصيرة ومتقطعة وأحادية الجانب، نفذها متخصصون محليون، وهي من السمات الرئيسة المميزة لهذه الفترة، وبعضها الآخر نفذته بعثات أجنبية، بالإضافة إلى وجود أنشطة أخرى ذات صلة. ويمكن الاستشهاد على الأنشطة الميدانية الأجنبية في هذه الفترة، بموسمين للبعثة الإنجليزية في البحرين، أحدهما في شتاء عامي ١٩٧٣/ ١٩٧٤م (١٣٩٣/ ١٣٩٤هـ)، والآخر في عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)[٨٢]، وموسم واحد أجرته بعثة إنجليزية أخرى في شبه الجزيرة القطرية في نهاية عام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) وبداية عام ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ)، ولكن لم تقدِّم فيه جديدًا يذكر[٨٣]، في مجال دراسة العصور الحجرية بعد عمل البعثة الدنماركية.

(81) Kapel 1967, Op. cit.

(82) Roaf M., 1974. "Excavations at Al-Markh, Bahrain: A fish midden of the fourth millenniuym BC". Paleorient, V., 2: 449-501., Roaf M., 1976."Excavations at Al-Markh, Bahrain". Proceedings Of the Seminar for Arabian Studie,s, Vol., 6: 114- 160.

(83) De Cardi B., 1974. "The British Archaeological Expedition to Qatar 1973-74". Antiquity, V. XLVII. 196-200.



وفي الوقت نفسه عملت هذه البعثة عددًا من المواسم في عُمان(٨٤)، إلى جانب بعثة أخرى عملت في عُمان أيضًا، من جامعة (هارفرد) الأمريكية، خلال موسمين، تقريبًا، أحدهما في عام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)(٨٥)، والآخر في عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)(٨٦)، وزهاء موسم واحد عملت فيه البعثة الدنماركية في الفترة ما بين نهاية عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ)، وبداية عام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، جُمعت خلالها أدوات حجرية من قبل (جلوب Glob، وفريفلِت Frifelt)، ونشرتها، بعد ذلك، الباحثة (بولار)(٨٧).

وكذا فقد نشر (سميث) في مقالين مجموعتين من الأدوات الحجرية من عُمان، جمعها كل من (دي كاردي)، والباحث الإنجليزي (دو Doe) في موسمين، أحدهما في

(84) De Cardi B., 1975. "Surveuy and Excavations in Central Oman". The Journal of Oman Studies, V.1:109-111, De Cardi B., 1977."Excavation and Survey in the Sharqiuyah.Oman, 1976". The Journal of Oman Studies, Vol.3 / 1: 17- 33, De Cardi B.Bell R., Starling N., 1979. "Excevations at Tawi Silaim and Tawi Said in the Sharqia 1978". Al-Shanveruy A.,A., et., al. (eds.), The Journal of Oman Studies, V. 5. 61-94.

(85) Pullar J., 1974. "Harvard archaeological Survey in Oman, 1973: flint Sites in Oman". Proceedings 0f the Seminar for Arabian Studies, V. 4: 33-48.

(86) Pullar J., Jäckli B., 1978. "Some A ceramic Sites in Oman. The Journal of Oman Studies, V., 4: 53-75.

(87) Pullar J., 1985. "A Selection of A Ceramic Sites in the Suyltanate 0f Oman". The Journal of Oman Studies, V., 7 :49-95.

نهاية عام ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ)، وبداية عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)[٨٨]، والثاني في عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)[٨٩].

ومن الأدوات الحجرية التي ظهرت في هذه الفترة، يمكن ذكر مجموعة جمعها (كوبي لاند، وبرجن) من الإمارات العربية المتحدة[٩٠]، تعود إلى العصر الحجري الحديث، وأخرى جمعها آخرون من قوينصة أبي غيديان (Al-Qawnasat Iby Ghudayyan) بوادي الدواسر في الربع الخالي، نُسبت إلى العصر الحجري القديم[٩١]، وأدوات أخرى من العصر الحجري الحديث جمعت من شرق شبه الجزيرة[٩٢]، والربع الخالي[٩٣]. وهناك مسح أثري أجرته

(88) Smith G. H., 1976. "Neo Neolithic sites in Oman". The Journal of Oman Studies, V. 2: 189-198.

(89) Smith G. N., 1977. "New Prehistoric Sites in Oman". The Journal of Oman Studies, No.3/1: 71-81.

(90) Copeland L., Bergne P.,1976. "Flint artifacts from the Buraimi Area, Eastern Arabia and their relations with the Near Eastern Post-Paleolithic". Proceeding of the Ninth Seminar for Arabian Studies, V, 6: 40-61.

(91) Sordinas A., 1971. Francis collection from Al-Qawnasat ibn Ghudayyan. In: H. Field (ed), Contributions to the Anthropology of Saudi Arabia. Coconut Grove, FL: Field Research Projects: 1-24.

(92) Golding M. 1974. "Evidence for Pre-Seleucid Occupation of Eastern Arabia". Proceedings of the Seminar of Arabia Studies, V.4: 19-32.

(93) Gramly R. M., 1971."Neolithic flint implement assemblages from Saudi Arabia". Journal of Near Eastern Studies, V. 30, N.3: 177-185.





جامعة (لندن) في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة[٩٤]، مع أنها لم تهتم بالأدوات الحجرية، مثلها مثل البعثة الكندية التي عملت في المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة[٩٥]. وفي السبعينيات الميلادية (التسعينيات الهجرية) ظهرت مقالات عن الأدوات الحجرية التي جمعت من واحة (يبرين)، ومنطقة الهفوف، في المنطقة الشرقية، ومن مواقع أخرى من وسط شبه الجزيرة[٩٦]، وكذا عن أدوات حجرية جُمعت من أطراف الربع الخالي الشمالية[٩٧].

وقد ظهرت في هذه الفترة، أيضًا، أعمال (أناتي) في الرسوم الصخرية[٩٨]، التي جمعها، كما سبق الذكر، أعضاء البعثة البلجيكية، في الغالب، في أوائل الخمسينيات الميلادية

(94) Parr Peter J, Harding G. L., and Dayton J. E., 1970. "Preliminary Survey in N.W. Arabia, 196". Bulletin Nos.8 and 9, Institute of Archaeology, University of London: 193-242.

(95) Winnett F. W., & Reed W. L., 1973, Op. cit.

(96) Sordinas A., 1973. Stone implements from Jabrin, Jebel Diran, Hofuf and adjoining surface Sites in Saudi Arabia. Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia,II. Coconut Grove, FL: Field Research Projects, Miami, Overstreet W., 1973. Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia1. Coconut Grove, Miami, Florida: Field Research Projects.

(97) Sordinas A., 1978. The Zimmerman Collection from the Northern Fringe of the Rub' Al-Khali. Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia, III. Coconut Grove, FL: Field Research Projects, Miami.

(98) Anati E., 1968, Op. cit., Anati E., 1973, Op. cit.

(أوائل السبعينيات الهجرية) من وسط شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وبالأخص منطقة بئر حِمى، ووادي تثليث، خلال بحثهم عن النقوش، والتي يعود أقدمها إلى العصر الحجري الحديث. كما عُرف في هذه الفترة، بالإضافة إلى التأريخ الذي حُصل عليه في الفترة الثانية من المرحلة الأولى، بعض التواريخ الأخرى المطلقة بالكربون [١٤]، أحدهما من موقع شقراء في قطر(٩٩)، والأخرى من موقع عين قنّاص بواحة الأحساء في المنطقة الشرقية(١٠٠).

ومن المتاحف الجديدة التي فُتحت للجمهور في هذه الفترة، والتي كان لها دور في العرض، أو الاحتفاظ، بالأدوات الحجرية، المتحف الوطني بالرياض في عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ)، والمتحف الوطني في اليمن في عام١٩٧٠م (١٣٩٠هـ)، والذي وجد بدار الشكر في البداية، وبعدها نُقل إلى دار السعادة في عام١٩٧١م (١٣٩١هـ)، ومتحف للآثار بجامعة الملك سعود في عام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م(١٠١)، وكذا افتتاح متحف العين في الإمارات العربية عام ١٩٧١م (١٣٩١هـ)، وكان قد أسس في عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ)، والمتحف الوطني العُماني في ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ) بالقرم، والمتحف القطري الوطني في عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ) ...إلخ.

(99) Kapel, 1967. Op. Cit.

(100) Masry A., 1974. Prehistory in the Northeastern Arabia: the Problem of Interregional Interaction. Field Research Projects. Miami.

(١٠١) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق، ص٤.



ففي هذه المتاحف توجد مجموعات كثيرة من الأدوات الحجرية، تتفاوت نسبها بين كل متحف، وآخر، سواء أكانت معروضة فيها (لوحة: ٧- ٨)، أم مخزونة، ويختلف، أيضًا، الزمن الذي بدأت تصل فيه هذه الأدوات إليها.

فهناك علاقة وثيقة بين المتاحف، ودراسات ما قبل التاريخ، مثلها في ذلك مثل باقي الدراسات الآثارية الأخرى، ومنها بالإضافة إلى احتفاظها، وعرضها، لكثير من عناصر الثقافة المادية لحياة ما قبل التاريخ (لوحة: ٦)، دورها في نشر الوعي عن تلك الحقبة التاريخية الطويلة، أيضًا. وفي هذه الفترة ظهر، كذلك، قانون الآثار في المملكة العربية السعودية في عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ظهور الأنشطة الميدانية المحلية:

تحققت في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الأول من تسعينيات القرن الرابع عشر الهجرية) بداية الأنشطة الميدانية التي قام بها متخصصون محليون، في نطاق إدارات الآثار، أو الجامعات، أو بطرق مستقلة، وللاستشهاد فقط نذكر، حفريات عبدالله المصري في موقع عين قناص بواحة الأحساء، لرسالته في الدكتوراة، وفي أبو خميس، والدوسرية[١٠٢]، حيث يمكن وصف هذه الدراسة، ليس من الدراسات التفصيلية، وحسب، وإنما من الدراسات التي أبرزت أهمية ما قبل التاريخ، وعجَّلت بدراسة هذه العصور، أيضًا، وخاصة بعد أن صار صاحبها مديرًا

(102) Masry A., 1974.Op. Cit.

عامًا للآثار والمتاحف آنذاك، وقد كان له دور مهم وللآخرين، في التسريع بظهور برنامج المسح الأثري الشامل، ومن ذلك تبني هذا البرنامج لدراسة ما قبل التاريخ.

هذا ولا تُنسى الإشارة في هذه الفترة، إلى وجود بعض الأنشطة الآثارية الأخرى، التي لامست جوانب من عصور ما قبل التاريخ، وخاصة جمع الأدوات الحجرية التي كانت تُلفت أنظار الباحثين إليها، على الرغم من أن هذه الأنشطة كانت مكرسة في آثار عصر الكتابة، وللاستشهاد على ذلك، يمكن ذكر مجموعة من الرؤوس، إلى جانب قِلَّة من الشظايا الحجرية، والأدوات الأخرى، والتي تنسب جميعها إلى النمط الصحراوي، في تقدير الباحث، وبعضها إلى فترة بُعيد العصر الحجري الحديث، معروضة في متحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود، ومنها رؤوس سهام معنُقة من ذات النمط (لوحة: ٨)، جمعتها من على السطح بعثة دراسة قرية (الفاو)، شكلها، وترأسها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، بدءًا بعام ١٣٩٢هـ(١٠٣)، الموافق عام ١٩٧٢م. كما لا تفوت الإشارة في هذا الجانب إلى بعض الرؤوس التي ترجع إلى النمط نفسه، والتي وجدتها البعثة العراقية في مدافن من مدافن القصيص في دبي، خلال عملها في الإمارات العربية المتحدة، بدءًا بعام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ)، مع أن نوعية هذه الأدوات وطبيعة صناعتها أقدم، من حيث المبدأ،

(١٠٣) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٨١م)، قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية. الرياض، جامعة الرياض.



من التاريخ الذي أُرخت به تلك المدافن، كما يبدو، وفي الوقت نفسه فقد أشارت تلك البعثة إلى وجود أدوات حجرية بواحة العين، أيضًا[١٠٤]، أمَّا الحديث عن الرسوم الصخرية، أو نسخها، فقد رافقت، في كثير من الأحيان، دارسي النقوش في هذه الفترة، وفي فترات مختلفة. كما اشتملت هذه الفترة على تدريس الآثار في بعض جامعات شبه الجزيرة في نطاق أقسام التاريخ، متضمنًا ذلك جوانب من عصور ما قبل التاريخ، ومنها جامعة الملك سعود[١٠٥].

وعمومًا يمكن القول إن من نتائج دراسة عصور ما قبل التاريخ في المرحلتين الأولى والثانية، بالإضافة إلى ما سلف ذكره، في كل مرحلة على حدة، تراكم كمية لا بأس بها من الأدوات الحجرية، ومعطيات أخرى ذات صلة، مع معرفة عدد من التواريخ المطلقة الخاصة بالعصر الحجري الحديث، وقد قدّمت هذه المعطيات في مجملها إمكانية تحديد الاتجاهات الرئيسة للدراسات اللاحقة لهذه العصور، على الرغم من أن طريقة العثور على مواقع ما قبل التاريخ كانت تتم في الغالب صدفةً، كما افتقدت دراسة الأدوات الحجرية، هي الأخرى، فيهما، للدراسة التحليلية الدقيقة الهادفة، والمنتظمة.

---

(١٠٤) بدوة، محمد صالح، والتكريتي، ياسين، (١٩٧٥م)، الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة. وزارة الإعلام والثقافة، إعداد دائرة الآثار والسياحة، مؤسسة الظواهر للطباعة والنشر.

(١٠٥) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق.

المرحلة الثالثة من تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية:

احتل النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الثاني من تسعينيات القرن الرابع عشر الهجرية) مكانة خاصة في تاريخ الدراسات الآثارية في شبه الجزيرة العربية، لأنه أتى بعد مرحلتين سابقتين، طويلتي المدى، أولاهما اتسمت بظهور الهواة، وصُدفة الاستكشاف، والثانية بالبحوث المتقطعة، بالإضافة إلى الظواهر الأخرى سالفة الذكر. فعلى أساس تلك القاعدة العلمية، في المرحلتين الأولى والثانية، تمخَّضت مرحلة جديدة ثالثة في التاريخ المذكور، من خصائصها الدراسة الهادفة الجماعية المخططة المتعددة الأوجه الطويلة المدى والأكثر عمقًا وشمولية.

كما تتميز هذه المرحلة، كذلك، بظهور الشراكة في المسح والتنقيب، بين إدارات الآثار المحلية والبعثات الأجنبية، مع أن مستويات هذه الشراكة كانت متفاوتة، وغير متكافئة، في كثير من الأحيان، ويمكن للمهتم الحكم على ذلك، من خلال الأعمال الصادرة عن هذه الشراكة، والوثائق الأخرى ذات الصلة، باعتبارها مؤشرات مباشرة عن طبعة تلك الشراكة. وممّا يميز هذه المرحلة، كذلك، افتتاح أقسام الآثار، بصورة مستقلة في بعض الجامعات، وهذا منعطف تاريخي آخر جديد في الدراسات الآثارية الأكاديمية في شبه الجزيرة، بالإضافة إلى ظواهر أخرى كثيرة، سيشار إليها أيضًا.





ويمكن تحقيب المرحلة الثالثة من دراسة عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة بثلاث فترات: الفترة الأولى، تبدأ بظهور برامج المسح، والدراسة الميدانية الجماعية الطويلة المدى المتعددة الجوانب في معظم دول شبه الجزيرة، بدءًا بعام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، مع وجود الشراكة المحلية، بالإضافة إلى ظهور أقسام الآثار المستقلة في بعض جامعات شبه الجزيرة، وتنتهي بتوقُّف آخر هذه البرامج في النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين، ومنها برنامج البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في عام ١٩٩١م (١٤١١هـ).

وتبدأ الفترة الثانية بنهاية الفترة الأولى، وتنتهي بنهاية القرن العشرين الميلادية (بداية العشرينيات من القرن الخامس عشر الهجرية)، أمّا الفترة الثالثة فتبدأ بدخول الألفية الميلادية الثالثة (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري) وأحداثها الجسيمة التي أثرت على سير الدراسات الأثرية، بالإضافة إلى ظهور مجلة (أدوماتو) لأسباب كثيرة، سنأتي على ذكرها، وظواهر أخرى مهمة، قد تجعل هذه الفترة ترتقي إلى مستوى إفرادها في مرحلة مستقلة، ومنها تشكيل أول كلية للسياحة والآثار بجامعة الملك سعود عام ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ)، ومشروع أقرَّه المجلس العلمي لجامعة صنعاء في عام ٢٠٠٨م (١٤٢٧هـ)، لإنشاء كلية الآثار والسياحة في اليمن، والذي أعده قسم الآثار قبل التاريخ المذكور، ولكنه لم ير النور بعد.

دوافع ظهور المرحلة الثالثة:

ظهرت هذه المرحلة الجديدة، بدوافع علمية ملحة، خاصة بها، إلى جانب وجود الطفرة النفطية في الأساس، لأغلب دول شبه الجزيرة العربية، والتي عمَّ خيرها العالم بأسره، فاستفادت منها الحضارة الإنسانية، عامة، وبصورة لم يسبق لها في التاريخ مثيل، مع أن استفادة دول شبه الجزيرة العربية نفسها في إيجاد قاعدة صناعية حقيقية، وفي الجوانب الأخرى الإستراتيجية، كان محدودًا للغاية.

فقد رافقت هذه العملية مسألة الحفاظ على المعالم التاريخية، والهوية الثقافية عمومًا، خوفًا من التوسع العمراني الكبير الذي صار يلتهم هذه المعالم، وخاصة مواقع ما قبل التاريخ، باعتبارها غير بارزة على سطح الأرض، ولا يعرفها كثيرًا إلا المتخصصون فيها. فقد عملت حكومات بعض تلك الدول على تشجيع البحوث الآثارية الميدانية، وتوسيع نطاقها، ومن ذلك تدريس علم الآثار في الجامعات المحلية في أقسام مستقلة، حيث أصبحت هذه المهمة العلمية مسألة ضرورية، تفرضها طبيعة هذه المرحلة، ومنها فتح أول قسم للآثار في جامعة الملك سعود (الرياض سابقًا)[١٠٦] عام ١٣٩٨هـ، الموافق ١٩٧٨م[١٠٧]، وفي عام١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) بجامعة صنعاء، وأضحت عصور ما قبل التاريخ تُدرّس فيهما

(١٠٦) سميت الجامعة المذكورة بجامعة الملك سعود، ثم غُير اسمها بعد ذلك إلى جامعة الرياض، وأخيرًا أعيد لها اسمها الأول.

(١٠٧) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق: ٧.



بمقررات مستقلة، وأوسع بكثير مما كان عليه الحال في أقسام التاريخ[١٠٨].

ولا يُعدُّ هذا التوجه منعطفًا تاريخيًا جديدًا، وحسب، في تاريخ الدراسات الأثرية الأكاديمية، عامة، في شبه الجزيرة العربية، وإنما في عصور ما قبل التاريخ، أيضًا. فقد كان علم الآثار، بوجه عام، ويتضمن ذلك جوانب من آثار ما قبل التاريخ، يدرّس قبل ذلك، في الجامعتين المذكورتين، في نطاق قسم التاريخ، كما سلف الذكر، وخاصة منذ ستينيات القرن العشرين الميلادية (ثمانينيات القرن الرابع عشر الهجرية) بجامعة الملك سعود، وما زال هذا الأسلوب متبعًا في باقي جامعات دول شبه الجزيرة العربية الأخرى إلى اليوم، سوى جامعة السلطان قابوس في عُمان، التي فُتح فيها قسم مستقل للآثار في عام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، مع أنه أغلق بعد ذلك لفترة، يبدو أنها محدودة، مع أن أبواب البحث فيه ظلت مفتوحة إلى اليوم، كما توسَّع في هذه المرحلة نطاق المؤسسات الخاصة بحماية الآثار ودراستها، والموروث الثقافي، عامة، ومنها مواصلة افتتاح عدد آخر من المتاحف في عدد من المدن، في كل دولة على حدة من دول شبه الجزيرة العربية، وقد أخذت هذه المتاحف على عاتقها الاحتفاظ بالمواد الأثرية، ويتضمن ذلك تخزين الأدوات الحجرية وعرضها، ومسألة التنوير، ونشر الوعي الآثاري بين عامة الناس (اللوحات: ٦-٩).

(١٠٨) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (١٩٩٢م)، مصدر سابق.

كما تمكنت في هذه المرحلة الكوكبة الأولى من الآثاريين المحليين، والتي تكلّلت جهود طلائعها الأولى، بفتح هذه الأقسام المستقلة في هذه المرحلة، من توسيع مقررات علم الآثار في الدراسة الأكاديمية، مع مواصلة تشجيع ابتعاث المزيد من الدارسين لهذا العلم إلى الخارج، وتنمية الكادر المحلي عامة في هذا الاتجاه، وبالإضافة إلى ذلك فقد توسع في هذه المرحلة نطاق الدراسات الآثارية في بعض مناهج التعليم، وإدخال بعض نتائجها في أعمال ثقافية، وفنية مختلفة، وتقديم تصورات أوسع عن علم الآثار، ونتائج دراساته، في وسائل الإعلام، ويتمثل ذلك في عرض برامج تلفزيونية، وأخرى من علوم قريبة، أو متشابهة في بعض طرق البحث والتنقيب، مثل علم المستحثات، أو (المتحجرات)، ومنها برنامج تلفزيوني كان يعرض في القناة الأولى السعودية في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين الميلادية (النصف الثاني من تسعينيات القرن الرابع عشر الهجرية)، والتي شجّعت هي الأخرى على الدراسات الآثارية، ومنها آثار ما قبل التاريخ.

مكانة ما قبل التاريخ في الدراسات الميدانية والتعليم الجامعي:

نالت عصور ما قبل التاريخ في المرحلة الثالثة قسطًا من الدراسة الميدانية المنتظمة والموسعة، وكثرت فيها البعثات الآثارية الأجنبية[١٠٩]، ذات برامج العمل الطويلة المدى

(١٠٩) هي من أمريكا الشمالية وأوروبا، ومنها: بريطانية، وفرنسية، وروسية، وقليل من أستراليا، إلى جانب مشاركة محلية محدودة، نتيجة لقلة المتخصصين.



المتعددة الأوجه، والتي أخذت بدراسة العصور المذكورة، بشكل هادف، وبصورة منتظمة، مع معالجة قضايا مهمة وحيوية، وعلاوة على ذلك فلهذه العصور عبق خاص من القدم الطويل يمتد منذ ثلاثة ملايين سنة إلى نحو الألف الثالث ق. م، ويصل هذا القدم في شبه الجزيرة العربية إلى ظهور الكتابة في منتصف الألف الثاني ق. م، وهي الصورة التي أخذت تتبلور في هذه المرحلة شيئًا فشيئًا في أذهان الكثير، أكثر مما مضى. كما نالت ما قبل التاريخ قسطًا أوسع في الدراسات الجامعية، خاصة بعد فتح أقسام الآثار.

ولكن على الرغم من توسُّع الدراسات الآثارية في هذه المرحلة عامة، فقد ظل عدم التوازن فيها مستمرًا إلى اليوم، وإلى جانب ذلك صارت تُدرّس في أقسام الآثار مواد تاريخية كثيرة، على حساب موضوعات أثرية مهمة وجوهرية، وعلى حساب تطوّر علم الآثار المحلي نفسه كذلك، إلى درجة أن النقاش الذي أخذ الآثاريون، أحيانًا، يتبادلونه فيما بينهم حول صواب إدراج المعالم الإسلامية بأكملها، في علم الآثار، من عدمه، أو وضعها تحت مسمًّى آخر، انتقل إلى بعض المحافل العلمية الرسمية(١١٠)، على اعتبار أن للآثار الإسلامية تاريخًا مكتوبًا، في الغالب، وخاصة بعد أن صارت متعددة، ومتشعبة في أقسام الآثار، وتتسع في بعض الأحيان لتشمل موضوعات دراسة علوم إنسانية أخرى، كالحِرف

(١١٠) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، (٢٠٠٥م)، "الافتتاحية"، أدوماتو، الرياض، ع١٢، ص٤-٥.

التقليدية، ومنها، على سبيل المثال، صناعة الحلي، والجلود، والأدوات الزراعية ... إلخ، وتُعدُّ هذه الجوانب من موضوعات دراسة علم الإثنوغرافية، والإثنوغرافية الأثرية، من حيث المبدأ. أضف إلى ذلك أن الكثير ممَّا يُدرَّس في "الآثار الإسلامية" ليست معالم لآثار قد ذهبت، وإنما حاضرة، أغلبها إلى اليوم، ومنها ما يُدرَّس على أصوله، سواء في أقسام للعلوم الإنسانية، أو للعلوم التطبيقية.

وقد يكون من الصواب إن قسمت المعالم الإسلامية إلى: آثار إسلامية، لتشمل بقايا الظواهر المادية التي ذهبت، والتي يمكن من خلالها استنباط معلومات تاريخية جديدة غير معروفة من قبل، ليتماشى هذا الاتجاه مع مفهوم علم الآثار، والذي وجد من أجل دراسة بقايا النشاط الإنساني غير المدون تاريخه في الأساس، والاتجاه الثاني هو الاتجاه "الإثنوغرافي الإسلامي"، ويعنَى بتوثيق الظواهر المادية التي ما زالت ماثلة إلى اليوم، ليتماشى مع طبيعة هذه الظواهر الحية، والتي تندرج في مفهوم علم الإثنوغرافية، والذي يهتم بتوثيق مثل هذه الظواهر، ومن ذلك عادات الأمم وتقاليدها ونظمها.

أما النقوش واللغات والكتابات القديمة عامة، فهي مصادر تاريخية مباشرة، ولغوية، من حيث المبدأ، ولا يربطها بعلم الآثار سوى طريقة الحصول عليها، في حالة وجودها في حفريات أثرية، مثلها مثال الوثائق الأخرى المكتوبة، على الرغم من أن ذلك قد يكون شكليًا، ومع ذلك فقد شغلت



الجوانب الإسلامية أقسام الآثار في جامعات شبه الجزيرة العربية، يليها النقوش واللغات.

أما آثار ما قبل التاريخ، والتي تأتي في مقدمتها الأدوات الحجرية وطُرق صناعتها، تليها الفنون الصخرية، والمنحوتات الأخرى بأشكالها المختلفة، وفخار ما قبل التاريخ، ومنشآته المختلفة، وجوانب أخرى كثيرة تطبيقية، ونظرية، فمقرراتها ليست قليلة وحسب، وهو ما لا يتناسب مع طول الفترة الزمنية سالفة الذكر، التي عاشتها البشرية في تلك الحقبة التاريخية، وإنما حتى هذا النزر اليسير، والذي أقِرَّ بجهود غير بسيطة في التدريس الجامعي، وفي الدراسات العليا، أيضًا، يقوم بتدريسه في كثير من الأحيان غير المتخصصين في آثار ما قبل التاريخ، وهذا لا يتناسب مع التطور الذي يعيشه التعليم بالمنطقة.

فمقررات ما قبل التاريخ ينبغي أن تكون متنوعة، بتنوع الموضوعات ذات الصلة بحياة إنسان تلك الحقبة التاريخية، وفي أكثر من مقرر، إن لم تكن مساوية لمقررات أخرى، بسبب طول الزمن الكبير سالف الذكر، الذي قضته البشرية في العصور الحجرية، وبسبب أهمية المادة العلمية نفسها، التي يمكن أن تقدم معلومات عن تلك الحياة، ذات الجوانب المتعددة، غير المدون تاريخها، رغم التواضع الكبير لهذه المواد، وخاصة في عيني من لا يعرف بشكل جيد أسرارها، وإلى جانب ذلك يجب أن تكون لهذه الجامعات حفريات في آثار العصور الحجرية، لا لتعليم طلبة الآثار، وحسب، والتي

تعد أساسية في تدريس عصور ما قبل التاريخ، وإنما للإسهام في معرفة حياة ذلك الإنسان عمومًا من جهة، وبناء علم الآثار المحلي، من جهة أخرى، حيث من غير المسوَّغ أن تظل دراسات ما قبل التاريخ الميدانية محصورة في شبه الجزيرة العربية على البعثات الأجنبية، إلى ما لا نهاية.

وكذا فإن تدريس تاريخ ما قبل الكتابة، أو (تاريخ ما قبل التدوين)، بوصفه مقررًا مستقلاً - وهو المقرر الذي لا يدرَّس عادة بأقسام التاريخ، بحكم ارتباطه بمصادر العصور الحجرية، والمصادر الأنثروبولوجية، والإثنوغرافية - لا يخصص له حيز هو الآخر، في أقسام الآثار بجامعات دول شبه الجزيرة العربية، ولا يوجد عنه تصور واضح، حتى الآن، ما بالك بالحديث عن اقتصاديات ما قبل التاريخ، وطرق الابتكار، والتحليل الوظيفي لأدوات ما قبل التاريخ، والطرق التطبيقية، والتجريبية ... إلخ، علمًا أن قسم الآثار بجامعة الملك سعود بدأ يأخذ ببعض هذه الجوانب في العملية التدريسية.

بينما تجد، على سبيل المثال، الكثير من مواد علم الصيانة والترميم، الذي يستفيد منه علم الآثار، مثله مثل علوم تطبيقية أخرى كثيرة، كالجيولوجيا، والنبات ... إلخ، يدرَّس في بعض أقسام الآثار بشكل أكبر ممّا هو مطلوب، على حساب تدريس مقررات علم الآثار نفسه، مع أن قسم الآثار لا يخرِّج متخصصين في هذا العلم، وإنما كل ما يحتاج إليه طالب الآثار من العلم المذكور، هو بعض المبادئ العامة، بالإضافة إلى طُرق التعامل مع المادة الأثرية التي تحتاج إلى ترميم

وصيانة أولية في الميدان، بهدف إيصالها إلى مراكز الترميم بشكل سليم، وهي المراكز التي ينبغي أن تكون مستقلة، سواء أكانت بذاتها، أو تابعة لكليات الآثار، أو لبعض المتاحف الكبيرة، أو لمؤسسات علمية أخرى، وهذا مثال فقط على ذلك.

وباختصار فإن التجربة، أو (الخصوصية) المصرية، والتي هي بحاجة إلى مراجعة أحيانًا، كأنها تُنقل كما هي إلى أقسام الآثار في شبه الجزيرة. والجدير ذكره، التنويه هنا مرة أخرى، بذلك الاتجاه الطموح، الذي وجد، بجامعة الملك سعود، فيما يتعلّق بفتح شعبة آثار ما قبلَ التاريخ، وفق خطة دراسات البكالوريوس الثانية:١٤١٠- ١٤١٢هـ، الموافق١٩٩٠- ١٩٩٢م، والتي وضِع لها برنامج دراسي، وصل إلى درجة متقدِّمة جدًا[١١١]، ولكن هذه الشعبة لم تر النور، مع أنها فكرة تستحق الثناء، والعمل على إحيائها من جديد، وخاصة في ظل التوجهات الجديدة لتطوير التعليم الجامعي في شبه الجزيرة.

الفترة الأولى من المرحلة الثالثة:

بدأت هذه الفترة بظهور أول برنامج طويل المدى متعدد الاتجاهات في وسط شبه الجزيرة العربية في عام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، ممثلاً ببرنامج المسح الآثاري الشامل، الذي أعدته ونظمته، وقامت بتمويله والإشراف عليه حكومة المملكة العربية السعودية، داعية له متخصصين من أمريكا، وبعض الدول الأوروبية، إلى جانب مشاركة محدودة: محلية،

(١١١) الأنصاري، (١٩٩٢م)، مصدر سابق، ص٧، جدول المقررات في ص١٩.

وعربية، وإسلامية، نالت بموجبه عصور ما قبل التاريخ قسطًا من الدراسة، شمل المنطقتين الوسطى والجنوبية(١١٢)، والجنوبية الغربية(١١٣)، والغربية أيضًا(١١٤)، وكذا المنطقة الشمالية والشرقية(١١٥)، والشمالية الغربية(١١٦)، وفي العام

(112) Zarins J., Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the Third Phase of the CASP - the Central province". Atlal, V. 3: 12-19. Zarins J., Whalen M., Mohammad Ibrahim, Abd Al-Jawad Mursi, Majid Khan, 1980. “The Preliminary Report on the Central and South-Western Provinces Survey 1979". Atlal, V. 4:9-36. Zarins J., Abdul-Aziz Rahbini, Mahmood Kamal, 1982. "Preliminary Report on the Archaeological Survey of the Riyadh Area". Atlal, V.6:25-38.

(113) Zarins J.,Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary. report on the south-western province". Atlal, V. 5: 9- 42.

(114) Whalen N., Killick A., James N., Gamal Mosri., Mahmoud Kamal. 1981. "Preliminary Report on the Western Province Survey". Atlal, V. 5: 49.

(115) Adams P. McC., Parr P. J., Muhammad Ibrahim Al-Mughannam, 1977. "The Preliminary report on the First Phase of the Comprehensive Archaeological Survey Programm". Atlal, V.1:21-40., Gilmore M., Mohammed Al-Ibrahim, Abduljawwad S. Murad, 1982. "Preliminary Report on the Northwestern and Northern Region Survey". Atlal, V. 6: 9- 23.

(116) Ingraham M., Jonhson Th., Rihani B., Shatla I., 1981. "Preliminary report on a Reconnaissance Survey of the North western Province (with note on a brief survey of the Northern Province)". Atlal, V.5: 86.





نفسه وجد برنامج آخر لدراسة عصور ما قبل التاريخ في شرقي شبه الجزيرة العربية، نفّذته البعثة الفرنسية، بشكل أوسع في قَطر[١١٧]، وبدرجات متفاوتة في دول أخرى من دول شرق شبه الجزيرة، ومنها على سبيل المثال في الإمارات العربية المتحدة[١١٨]، وبعدها تلاحق ظهور هذا النوع من البرامج في فترات زمنية مختلفة في دول أخرى من دول شبه الجزيرة العربية، ومنها على سبيل المثال برنامج البعثة الإيطالية في اليمن في عام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)[١١٩]، وقد شمل المرتفعات الشمالية الشرقية، وسهول تهامة، في الأساس، والبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة بدءًا بنهاية عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) وبداية عام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)[١٢٠]، والتي تركز عملها الرئيس في حضرموت، والمهرة، وسقطرى،

(117) Inizan M.-L., 1979. "Troisieme Mission Archaheologique Francaise a Qatar, 1978-1979". Paleorient, V.5:277-280., Inizan M-L., 1988. Prehistoire `a Qatar. Mission archaeologigue francaise `a Qatar. Edition rechercher sur les Civilisation. Paris.

(118) Cleuziou S. Pottier M.-H. Salles J.-F., 1977(?). "Mission archeologique francaise, 1re Campaigne, Archeologie aux Emirats Arabes Unis, al Ain: Department of antiquities and Tourism Unis 1:1- 67.

(119) De Maigret A., 1990. "The Bronze Age Culture of Khawlan at Tiyal and Al-Hada (Yemen Arab Republic): A First General Report". IsMEO Reports and Memories XXIV, Rome.

(120) Amirkhanov H.A., 1991. Palieolit Yujnoi Aravii. Moskva. (In Russian): 8.

والبعثة الفرنسية في (شبوة) في العام نفسه، كما وجدت في عُمان بعض البعثات في فترات مختلفة من هذه الفترة، وبعضها مستمرة إلى اليوم(١٢١).

وقد رافق هذه البرامج، ظهور بعض الحوليات المحلية الخاصة بنشر تقاريرها الميدانية، مثل حولية (أطلال) في وسط شبه الجزيرة، الصادر عددها الأول في عام١٩٧٧م (١٣٩٧هـ)، والتي من محاسنها الكبيرة، إضافة إلى كونها وعاءً محليًا لنشر هذه الأبحاث في داخل شبه الجزيرة، أنها تضمنت ترجمة من اللغة الإنجليزية، إلى اللغة العربية، لكل ما كُتب فيها، رغم الأخطاء في الترجمة، وفي جوانب أخرى، والتي تحتم على الباحث، أن يعود إلى النص الأصلي المكتوب باللغة الإنجليزية.

علمًا أن العدد الأول من سلسلة (الآثار في الإمارات العربية المتحدة) كان قد صدر في عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)، على شكل كتيِّب، متضمنًا بعض نتائج البحوث الآثارية، التي أجرتها بعثات مختلفة، بدءًا بعام ١٩٥٨م (١٣٧٧هـ) إلى عام

(121) Biagi P., 1988. "Survey along the Oman Coast. Preliminary report on the 1985-1988 Campaigns" East and West, V. 38, nos. 1-4 (December), IsMEO: 271-291., Biagi P., 1994 "An Early Paleolithic Site near Saiwan (Sultunate of Oman)". Arabian Archaeology and Epigraphy, V.5: No.2: 81-88., Biagi P.,1999. "Excavations at the shell-midden of RH6, 1986-1988 (Muscut, Sultanate of Oman). Al-Rafidan 20:57-84., Biagi P., 2004. "Surveys along the Oman Coast: A Review of the Prehistoric Sites discovered between Dibab and Qalhat". Adumatu, No.10: 29-50.





١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)[١٢٢]، ولكن هذه السلسلة غير منتظمة الصدور، وهي أيضًا اسم لآثار الإمارات العربية المتحدة، أكثر مما هي اسم لمجلة محدّدة. كما صدر العدد الأول من مجلة (الدراسات العُمانية)، في عام ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ)، أيضًا، ولكن هذه المجلة لا تصدر بشكل دوري، أحيانًا، وفي الوقت نفسه مهتمة، إلى جانب الآثار، بالعلوم الطبيعة، أضف إلى ذلك أنها تصدر باللغة الإنجليزية، ولا يتم النشر فيها باللغة العربية. وعلى الرغم من قيمتها العلمية الكبيرة، فهي خاصة بِعُمان وحدها، أيضًا.

وهناك مجلات علمية أخرى كثيرة ظهرت في شبه الجزيرة، وللاستشهاد على ذلك فقط، نذكر مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية التي تأسست في عام ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ) في الكويت، الصادر عددها الأول في عام ١٩٧٥م (١٣٧٥هـ)، وكذا مجلة العلوم الاجتماعية الصادرة في الكويت، أيضًا، بالإضافة إلى مجلات أخرى.

وفي اليمن تُعد مجلة (ريدان) من أقدم المجلات التي اهتمت بالدراسات الآثارية، مع أن صدورها غير منتظم، هو الآخر، وكذا مجلة (الإكليل)، و(دراسات يمنية). وفي البحرين مجلة (دلمون)، وعدد من المجلات في قطر، كما ظهرت في الإمارات العربية، إلى جانب (آثار الإمارات) مجلة (Bulletin) باللغة الإنجليزية، المهتمة بالتاريخ الطبيعي، والصادر عددها الأول في عام ١٩٧٧م (١٣٩٧هـ)، والتي غُيِّر اسمها إلى (Tribulus)

(١٢٢) بدوة، محمد صالح، والتكريتي، ياسين، (١٩٧٥م)، مرجع سابق.

بدءًا بعام ١٩٩١م (١٤١١هـ)، وكذا مجلتا (الدارة)، و(العصور) في المملكة العربية السعودية، ومجلات أخرى كثيرة، وقد ذكرت هذه المجلات لاهتمامها بالجوانب الأثرية عمومًا، على الرغم من عدم تخصصها في هذا الجانب، ولظهور مقالات في بعضها، عن عصور ما قبل التاريخ، أيضًا.

وكذا فقد استمر في هذه الفترة ظهور بعض المقالات الخاصة بأدوات العصر الحجري الحديث التي كانت تُجمع من الربع الخالي[١٢٣]، بالإضافة إلى توسيع صلاحيات إدارات الآثار، وتحسين أدائها، ويتمثل ذلك في افتتاح متاحف أخرى جديدة في الجوانب الآثارية والإثنوغرافية، ومنها على سبيل المثال متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء في عام ١٩٨٣م، الذي يضم مجموعة من الأدوات الحجرية (لوحة ٩: ٥- ٨)، والمتحف الوطني برأس الخيمة في عام ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، والذي لا يخلو، هو الآخر، من وجود هذه الأدوات. ولكن من الملاحظ عدم وجود تسهيلات مرنة، وتنسيق كاف بين هيئات الآثار، وأقسام الآثار بالجامعات.

وفي هذه الفترة ظهرت - بالإضافة إلى افتتاح قسمي الآثار بجامعة الملك سعود وجامعة صنعاء، والجوانب الأخرى التي ذُكرت في دوافع ظهور هذه المرحلة - بعض الجمعيات التاريخية والآثارية، ولنأخذ، على سبيل المثال فقط لا الحصر، الجمعية التاريخية السعودية التي تأسست في عام

(123) Takechi G. A., 1981. "Stone Age collection from the Rub' Al-Khal Desert". Bulletin of the Ancient Orient Museum. Tokyo. V. 3:1-15.



١٩٨٨م (١٤٠٨هـ)، والجمعية السعودية للدراسات الأثرية التي تأسست في العام نفسه، وهما قد انبثقتا من جمعية التاريخ والآثار التي ظهرت في عام ١٣٨٧هـ الموافق لعام ١٩٦٧م، كما سلف الذكر، وكذا ظهور جمعية التاريخ والآثار اليمنية، علمًا أن جمعية تاريخ وآثار البحرين كانت قد تشكلت، كما سبق الذكر، في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ). وبالإضافة إلى ذلك كَثُرت البعثات الآثارية الأجنبية، وأخذت، بدءًا بهذه الفترة، تقيم لنفسها في شبه الجزيرة العربية مقرات ثابتة للدراسات الآثارية، ولأهداف أخرى، أيضًا، ومنها للاستشهاد فقط نذكر كلاً من: المعهد الأمريكي، والمركز الفرنسي، والألماني، والإيطالي ... إلخ، في مدينة صنعاء، والتي ظهرت في تواريخ مختلفة من فترات المرحلة الثالثة، هذا في اليمن وحده، فما بالك بباقي دول شبه الجزيرة العربية الأخرى، وخاصة في عُمان وشرق شبه الجزيرة.

الفترة الثانية:

تمتد الفترة الثانية من الربع الأول من تسعينيات القرن العشرين الميلادية، وحتى نهاية القرن المذكور (بداية القرن الخامس عشر الهجري)، وقد اتسمت، هذه الفترة الأخيرة بانحسار كبير وتوقف شبه كامل لآخر برامج الدراسات الآثارية الميدانية الطويل المدى، التي ظهرت في الفترة الأولى، في أغلب دول شبه الجزيرة. فقد ضَعُف برنامج المسح الآثاري الشامل في وسط شبه الجزيرة، إلى حد بعيد، منذ

النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين الميلادية تقريبًا (بداية القرن الخامس عشر الهجري)، إن لم نقل توقف بالكامل، وفي بداية الثمانينيات الميلادية (بداية القرن الخامس عشر الهجري) توقف كذلك برنامج البعثة الفرنسية الطويل المدى في شرقي شبه الجزيرة العربية لدراسة ما قبل التاريخ، وكذا توقف العمل الميداني في العصور المذكورة في بداية التسعينيات من القرن العشرين الميلادية (بداية العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري) في برنامج البعثة الإيطالية في اليمن، وبرنامج البعثة الفرنسية، وكذا برنامج البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في عام ١٩٩١م (١٤١١هـ). وإن وُجدت بعض الأنشطة في دراسة عصور ما قبل التاريخ في هذهَ الفترة، فهي ضمن برامج أخرى جديدة، متقطعة في العمل، وأحادية الجانب، وقليلة العدد، في الغالب. كما تَحَولت، أو عادت من جديد بعض تلك البعثات، إلى دراسة معالم المرحلة الحضارية، والتي تمول بسخاء من جهات مختلفة.

وفي هذه الفترة تفككت بعض البعثات الكبيرة، مثل البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، وظهرت حاجات ملحة لتعاون أكبر، من حين لآخر، بين بعض البعثات، أو بين أفراد من أفرادها، مثل التعاون بين البعثتين الروسية والألمانية في اليمن، والتعاون بين الفرنسية والإيطالية في شرق الجزيرة، واندماج أفراد آخرين في أعمال مشتركة تحت أسماء جديدة، مثل البعثة الأوروبية المشتركة في عُمان، وشرقي شبه



الجزيرة، ولا نغفل عن كون هذا التقارب بين بعض البعثات يعكس، في الوقت نفسه، التقارب العام، الذي حدث بين الدول الأوروبية، والذي توّج بقيام الاتحاد الأوروبي بينها، في وقت لم يتقارب فيه كثيرًا إخوة الماضي والحاضر، على الأقل في شبه الجزيرة العربية، إن لم يكن التباعد بينهما يصل إلى حد القطيعة، أحيانًا، فيجر ذلك نفسه على جوانب أخرى، ومنها الجوانب الآثارية.

وإلى جانب ذلك ظهر في هذه الفترة أفراد، أو مجموعات صغيرة تعمل بصورة متقطعة، مثل البعثة الأمريكية في هضبة ذمار(١٢٤)، والأمريكية، كذلك(١٢٥)، والفرنسية(١٢٦) في هضبة حضرموت، وأخرى فرنسية، وإنجليزية، في شرق شبه الجزيرة، ووسطها، وعُمان، وفي الكويت، أيضًا، ومنها على

(١٢٤) ويلكنسون ت. ج، إيدنز كريستوفر، (٢٠٠١م)، "آثار المرتفعات اليمنية: تسلسل زمني تمهيدي"، ص٩٧- ٨٥. في كتاب: دراسات في الآثار اليمنية، ترجمة ياسين محمود الخالصي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية.

(125) McCorriston J., Oches E.A., Walter D.E., Cole K.L., 2002. "Holocene Paleoecology and Prehistory in Highland Southern Arabia". Paleorient, V. 28/1:61-88.

(126) Cleuziou S., Inizan M.-L., Marcolongo B., 1992. "Le peuplement pre-protohistorique du systeme fluviatile fossile du Jawf-Hadramawt au Yemen (d'apres l'interpretation d'images satellite de photogrphies aeviennes et de prospections)". Paleorient, V.18/2:5-28. Crassard R, McCorriston j., Oches E., Espagne J., and Sinnah M., 2006. "Manayzah, early to mid-Holocene occupations in Wadi Sanaa (Hadramawt, Yemen)". Proceeding of the Seminar for Arabian Studies, V. 36:1-23.

سبيل المثال نشاط البعثة الإنجليزية في موقع الصبية بالكويت في فترات مختلفة[١٢٧]، وأنشطة أخرى موسمية تظهر تارة، وتختفي تارة أخرى؛ لأسباب مختلفة، بالإضافة إلى دخول جيل أوروبي جديد، مبتدئًا في العمل الآثاري، أخذ يتعلّم في الميدان، كالجيل السابق له؛ ليحل محلّه.

ولكن ما يميِّز هذه الأنشطة غير المنتظمة في هذه الفترة، عن الأنشطة ذاتها التي وجدت في كل من المرحلتين الأولى والثانية، أنها هادفة، في الغالب الأعم. كما لوحظ منذ بداية هذه الفترة أن البعثات الأجنبية، أو أفرادًا فيها، تمكنوا من توسيع مجال الحصول على مصادر تمويل إضافي جديد لأعمالهم الآثارية، وبالتالي إيجاد فرص عمل جديدة، إلى جانب مصادر التمويل الخارجي، سواء أكان ذلك من بلدانهم، أو من الصناديق العالمية المانحة، عبر توصيات، ومجاملات، أو عن طرق تقديم الخدمات المتبادلة، وكذا عن طريق الهبات، من رؤساء، أو أمراء ... إلخ، أو من مؤسسات محلية رسمية، وأجنبية، ومن مؤسسات مشتركة، كذلك، مثل الصندوق الاجتماعي للتنمية في اليمن، والذي صار مصدرًا جديدًا من مصادر تمويل هذه البعثات الأجنبية وبانتظام، وصارت تسجّل عليه، في هذا الجانب، عدد من الملاحظات، إلى جانب

(127) Carter R., Crawford H., Mellalieu S. and Brret D., 1999."The Kuwait British Archaeological Expedition to As-Sabiyah: Report's on the first season's work" Iraq, V. LXI: 43-58.,Carter R., & Crawford H., 2001. "The Kuwait-British Archaeological expedition to As-Sabiyah: report on the second season's Work". Iraq, XXXVI: 1-20.



جهات إقليمية مانحة، كالسوق الأوروبية المشتركة، قبل قيام الاتحاد الأوروبي، وبعدها الاتحاد الأوروبي، أو دولية، مثل منظمة اليونسكو، التي تُموِّل مشاريع بعض الباحثين منذ أواخر الستينيات من القرن العشرين الميلادية (أواخر الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجرية)، ومصادر أخرى أيضًا.

وتُحدَّد سمات الفترة الثانية من المرحلة الثانية، كذلك، بأنه بالقدر الذي توقّفت فيه، بشكل تام، أو شبه تام، برامج المسح الميداني الطويل المدى المتعدد الاتجاهات، ظهر أثرها، من حيث المبدأ، في الدراسة التحليلية المعمّقة للمواد الأثرية، فقد تزايد فيه منذ بداية هذه الفترة، وإلى اليوم، عدد الرسائل العلمية، ومنها رسالة (أمير خانوف) لما بعد الدكتوراة في عام ١٩٨٩م (١٤٠٩هـ)، في العصر الحجري القديم، والتي نُشرت في عام ١٩٩١م (١٤١١هـ) في كتاب يحمل اسم العصر الحجري القديم بجنوب الجزيرة[١٢٨]، ورسالة الدكتوراة لكاتب هذه الدراسة عن العصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية، مع التركيز على جنوبيها، عام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)[١٢٩] التي لم تنشر بعد، ورسالة عبدالله الشارخ في عام ١٩٩٦م (١٤١٦هـ)، عن الأدوات الحجرية، والمنشآت الحجرية، في وسط المملكة العربية السعودية، والتي نُشرت في عام ٢٠٠٦م (١٤٢٧هـ)[١٣٠]. كما

(128) Amirkhanov H.A., 1991.Op. cit.

(129) Rashed A.A., 1993a, Op. cit.

(130) Al-sharekh Abdullah M. S., 2006. The Archaeology of Central Saudi Arabia: Investigations of Lithic Artefacts and Stone Structures in Northeast Riyadh.

ظهرت في هذه الفترة مؤلفات في العصور الحجرية، مثل كتاب (أمير خانوف): "العصر الحديث وما بعد العصر الحجري الحديث في حضرموت والمهرة"، في عام ١٩٩٧م (١٤١٧هـ)[١٣١]، بالإضافة إلى كتابه: العصور الحجرية بجنوبي الجزيرة العربية، المكون من الكتابين السابقين[١٣٢]، وكذا كتاب (زارينس) فيما قبل التاريخ: أرض اللبان في عُمان، الصادر في عام ١٩٩٨م (١٤١٨هـ)[١٣٣]، وأعمال أخرى.

فحلَّ هذا النوع الجديد من الدراسات محل التقارير الأولية التي كانت مرافقة لبرامج المسوحات الآثارية، بالإضافة إلى صدور بعض المجلات العالمية المتخصصة، مثل (مجلة الآثار والنقوش) (Archaeology & Epigraphy)، والتي صارت وعاءً جديدًا، إلى جانب مجلات أخرى، والحوليات المحلية، التي رافقت البرامج، سالفة الذكر، والتي تتناول جميعها ما قبل التاريخ. وكذا فإنه بالقدر الذي اتسمت به هذه الفترة بالعودة نحو الدراسة الفردية الميدانية، في الغالب، والذي صار بعضها يفرض توسيع نطاق هذه الدراسة وتنوعها وتعدد جوانبها، من واقع الاحتياجات

(131) Amirkhanov H. A., 1997. The Neolithic and Postneolithic of the Hadramaut and Mahra. Moscow. (In Russian).

(132) Amirkhanov H.A.,2006.Op. cit.

(133) Zarins J., 1998. Dhofar - Land of incense. Archaeological Work in the Sultanate of Oman 1990-1995. Sultan Qaboos University Publication.



الميدانية نفسها، بالقدر نفسه، تزايد في الفترة المذكورة عدد المؤتمرات والندوات والورش العلمية، وأصبح بعضها يعقد دوريًا، وتتناول كذلك، عصور ما قبل التاريخ، وهذه السمات مستمرة إلى اليوم.

كما ظهر في هذه الفترة عدد آخر من الجمعيات التاريخية والأثرية، مثل جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في عام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وهو تجمع كبير في شبه الجزيرة في هذا الجانب، يعلّق عليه آمال كبيرة. ومن المتاحف الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة نذكر، على سبيل المثال، افتتاح المتحف الإسلامي بالشارقة في عام١٩٩٦م (١٤١٦هـ)، مع أن لا علاقة له بما قبل التاريخ بصورة مباشرة، ولكنه ظاهرة تاريخية مهمة.

الفترة الثالثة:

تتميز هذه الفترة بدخول الألفية الثالثة الميلادية (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري)، وأحداثها الأولى الجسيمة، التي انعكس أثرها على جوانب كثيرة، وعلى سير الدراسات الآثارية أيضًا، ومن علامات هذه الفترة المهمة اشتداد عصر العولمة، وأثره المباشر على حياة الناس، وقد لامس بصورة، أو بأخرى، الدراسات الآثارية، بالإضافة إلى ظهور مجلة (أدوماتو) (Adumatu) المتخصصة في نشر البحوث الآثارية، الخاصة بآثار شبه الجزيرة العربية، والوطن العربي عامة، ويمكن إفراد هذه الفترة في مرحلة رابعة جديدة.

أمَّا المسوغات التي دعت الباحث إلى الأخذ بمجلة (أدوماتو) سمة من سمات هذه الفترة، فهو: ظهورها في مستهل الألفية الميلادية الثالثة (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري)، وتخصصها بالدراسات الآثارية الخاصة بآثار شبه الجزيرة، والوطن العربي عامة، وانتماؤها إلى الآثاريين في العالم عامة، الذين يكتبون عن آثار هذه المنطقة، إلى جانب ظهور دراسات فيها متخصصة عن العصور الحجرية، وباللغة العربية، أيضًا، إلى جانب ما وجد منها باللغة الإنجليزية، وصدورها، كذلك، باللغتين العربية والإنجليزية، وانتقالها من المستوى المحلي إلى المستويين العربي والعالمي، أيضًا، بالإضافة إلى دورها العملي في إيجاد حوار حقيقي بين الحضارات، من خلال تخاطب الباحثين على صفحاتها، عبر نتاجهم العلمي في الجوانب الأثرية.

وقد تكون مجلة أدوماتو من المميزات الأساسية في الدراسات الآثارية في الوطن العربي عامة، وشبه الجزيرة العربية خاصة، في المرحلة المعاصرة، إذا طُوِّرت هذه المجلة أكثر ممَّا هي عليه اليوم، وحظيت بقدر أوفر من الرعاية، أيضًا. فقد استحوذت في وقت وجيز على اهتمام علمي محلي ودولي كبيرين لأسباب كثيرة، رغم بعض المآخذ الجادة التي ينبغي الاهتمام بها لتجاوزها، وخاصة الأخطاء التي لا علاقة للمؤلفين بها، وتحدث عادة عند مراجعة اللغة والإخراج.

ومن أسباب شهرة مجلة أدوماتو، أيضًا: عدم وجود وعاء آخر متخصص في الجوانب الأثرية، منافس حقيقي لها حتى الآن، ولأنها تصدر، كما سلف الذكر، باللغتين العربية



والإنجليـزية، ولأنهـا ظهـرت، كذلك، فـي وقت كانت البحـوث الآثارية المحلية بحاجة إلى ظهـور مثل هـذا الوعاء، كـما أن هذا الظهور تزامن مع الأحداث العالمية الجسيمة، علاوة على أنهـا تبنّت أنشطة علـميـة أخـرى، لم تتـبنهـا باقي المجـلات الأخرى، في الغالب، ومنها إقامة ندوتها الأولى التي عُقدت بمدينة الجوف في شـمال شبـه الجـزيرة، فـي عـام ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ)، عن نشأة المدينة في الوطن العربي وتطورها[١٣٤]، وهـي تحضّر الآن لإقامة ندوتها الثانية، كذلك، عن الإنسان والبيئة، بالإضافة إلى المكانة العلمية لرئيس تحريرها، والتي عكست نفسها على شهرة هذه المجلة، والثقة بها، أيضًا، ولكن هذه المكانة التي اكتسبتها مجلة (أدوماتو) في وقت سريع، قد تفقدها، إن ظل الاهتمام بها بالمستوى نفسه، ولا سيما في حالة ظهور بديل آخر متميز عنها.

وبسـرد هذه المميـزات لمجلة (أدومـاتو) لا يعنـي هذا عـدم وجود مـجلات أخرى مهمة، ظهرت قبل هذه المرحلة، وبعدها في شبه الجزيرة العربية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، بالإضـافـة إلى مـا سلف ذكـره، مـجلة الجـمـعيـة التـاريخيـة السـعودية، الصـادر عددها الأول في العـام نفسـه (١٤٢٠هـ) الذي صدر فيه العدد الأول من مجلة أدومـاتو، ومجلة الخليج للتـاريخ والآثار، الصـادر عـددها الأول في عـام ٢٠٠٥م

(١٣٤) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، خليل المعيقل، عبدالله الشارخ، (٢٠٠٨م)، المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية: النشأة والتطور"، تحرير الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، وخليل المعيقل، وعبدالله الشارخ. الجوف، المملكة العربية السعودية/ ٢-٥ ذو القعدة ١٤٢٦هـ (٥-٧ ديسمبر ٢٠٠٥م)، ص٧-٣٤.

(١٤٢٦هـ)، وفي اليمن وحده، ظهرت حولية المسند، في عددين، الأول في عام٢٠٠١م (١٤٢٢هـ)، والثاني في عام ٢٠٠٤م (١٤٢٥هـ)، ولكنها - مع الأسف - توقّفت، وفي عام ٢٠٠٨م (١٤٢٩هـ)، ظهر العدد الأول من حولية الآثار اليمنية، في الوقت الذي توقفت فيه مجلة (ريدان) القديمة عن الصدور، وبالإضافة إلى ذلك فإن المجلات التي سلف ذكرها، أو تلك التي لم تذكر، في شبه الجزيرة، وهي كثيرة جدًا، ظهرت في البداية محلية، وبقيت على وضعها محلية، كذلك.

ومن السمات العامة الأخرى لهذه الفترة، بالإضافة إلى التوسع في الدراسات التفصيلية، والمعمّقة، عامة، ظهور عدد من البحوث المتخصصة فيما قبل التاريخ باللغة العربية، إلى جانب البحوث المكتوبة باللغات الأوروبية، تناولت قضايا مهمة في تاريخ شبه الجزيرة العربية، ومنها تقديم مقترحات بمسائل في الترتيب المرحلي للعصور الحجرية بوسط شبه الجزيرة(١٣٥)، والقيام بأعمال ميدانية في مواقع قديمة للحصول على معطيات جديدة(١٣٦)، ومقالات أخرى تعميمية في تاريخ البحوث الآثارية في شبه الجزيرة العربية في العصور ذاتها(١٣٧)، بالإضافة إلى دراسات أخرى مبنية على

(١٣٥) الشارخ، عبدالله بن محمد، (٢٠٠٣م ب)، "رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية"، العصور، ع١٣، الرياض.

(١٣٦) الشارخ، عبدالله بن محمد، (٢٠٠٣م أ)، "دراسة آثارية لمواقع الثمامة: النتائج الأولية"، أدوماتو، ع٩، الرياض، ص٧- ٣٢.

(١٣٧) محمد علي، عباس سيد أحمد، (١٤٢١هـ)، مصدر سابق ؛ الأمين، يوسف مختار، (٢٠٠٣م)، "العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية"، أدوماتو، ع٨، الرياض، ص٧-٤٠.



تحليل الأدوات الحجرية، مثل إظهار خصائص العصر الحجري الحديث[١٣٨] وتقسيماته[١٣٩]، ومسائل أخرى ذات صلة[١٤٠] (لوحة ١)، بما في ذلك جمع المعطيات حول طرح فرضية تشكل الجنس العربي، التي تطرح لأول مرة، بناءً على معطيات الأدوات الحجرية[١٤١]، إلى جانب ترجمة بعض الكتب إلى اللغة العربية[١٤٢]، وعدد آخر من الدراسات فيما قبل التاريخ[١٤٣].

كما توسعت في هذه المرحلة إقامة الفعاليات العلمية في موضوعات أثرية مختلفة، والتي كانت قد وُجِدت، بهذا

(١٣٨) المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد، (٢٠٠٠م)، مصدر سابق.

(١٣٩) المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد، (٢٠٠٣م)، مصدر سابق.

(١٤٠) المعمري عبدالرزاق أحمد راشد، (٢٠٠٨م)، موروث العصور الحجرية ودوره في تشكل قرى ومدن حضارة جنوبي الجزيرة"، في: "المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية: النشأة والتطور". تحرير الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، وخليل المعيقل، وعبدالله الشارخ. الجوف، المملكة العربية السعودية/ ٢-٥ ذو القعدة (١٤٢٦هـ)، (٥-٧ ديسمبر ٢٠٠٥م)، ص٧-٣٤.

(١٤١) المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد، (٢٠٠٥م)، مصدر سابق.

(١٤٢) زارينس، يوريس: أرض اللبان، دراسة ميدانية أثرية في محافظة ظفار بسلطنة عُمان، مشروع اللجنة الوطنية للإشراف على مسح الآثار في السلطنة- وزارة الإعلام (١٩٩٨م). ترجمة معاوية إبراهيم، وعلي التجاني الماحي، (٢٠٠١م)، بوتس، دانيال: الخليج العربي في العصور القديمة: من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط الإمبراطورية الإخمينية، الجزء الأول، (٢٠٠٣م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي. ترجمة إبراهيم خوري، مراجعة د. أحمد عبدالرحمن السقاف، ص٤٦-١٧٦.

(١٤٣) بوتس، دانيال ؛ النابودة، حسن، (٢٠٠٣م)، آثار الإمارات العربية المتحدة: بحوث المؤتمر الدولي لآثار الإمارات العربية المتحدة.

القدر، أو ذاك، في الفترات السابقة، أيضًا، وصار كثيرٌ من هذه الفعاليات يعقد دوريًا، كذلك، وتأخذ بعصور ما قبل التاريخ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، المؤتمرات الدولية عن الآثار والحضارة اليمنية: الرابع، والخامس(١٤٤)، والسادس، التي عُقدت في كل من مدينة صنعاء، وعدن، ومن هذه الفعاليات التي أخذت بما قبل التاريخ، أيضًا، المؤتمر الدولي الأول لآثار الإمارات العربية المتحدة في عام ٢٠٠١م (١٤٢٢هـ)(١٤٥)، والندوة التي خُصصت في الإمارات العربية المتحدة، كذلك، في عام ٢٠٠٩م (١٤٣٠هـ)، لإحياء ذكرى مرور خمسين عامًا على بدء البحوث الآثارية فيها، ومؤتمرات، وندوات عقدت في دول شبه الجزيرة العربية الأخرى، تناولت بعضها عصور ما قبل التاريخ، أيضًا.

وفي هذا السياق لابد من ذكر انتظام عقد دورات الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في الآونة الأخيرة، إلى حد كبير، والتي يحتضنها كل من قسمي التاريخ، والآثار بجامعة الملك سعود، بدءًا بندوتها الأولى في الرياض عام ١٩٧٧م (١٣٩٧هـ)، مع أنها لم تعط، حتى الآن، تاريخ شبه الجزيرة العربية حقه في عصور ما قبل التاريخ.

ومن الأنشطة الأخرى ذات الصلة التي ظهرت في هذه المرحلة نذكر للاستشهاد فقط، افتتاح متحف أم القيوين في الإمارات عام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، وهو يحتوي على عدد من

(١٤٤) صنعاء الحضارة والتاريخ، المجلد الأول والثاني، صنعاء، (٢٠٠٥م).

(١٤٥) بوتس، دانيال ؛ النابودة، حسن (٢٠٠٣م)، المصدر نفسه.



الأدوات الحجرية التي جُمعت من أم القوين نفسها. ومن سمات الفترة الثالثة، كذلك، تواصل تحضير الرسائل العلمية فيما قبل التاريخ بشبه الجزيرة، منها رسائل أُنجزت[١٤٦]، وأخرى في طريق الإنجاز، كرسالة (سعود الغامدي) من جامعة الملك سعود، ومن الجوانب الأخرى التي تلاحظ في الدراسات الآثارية في هذه الفترة، تقليص بعض أنشطة البعثات الأجنبية، وخاصة الميدانية؛ بسبب الأوضاع الأمنية في هذه الفترة، وخاصة في اليمن، في الوقت الذي يُلحظ فيه حراك في أنشطة آثارية متنوعة، وإن كانت أنشطة غير جماعية، وغير متعددة الجوانب، في كل من الإمارات، وعمان، مقارنة بما كان عليه الحال قبل هذه المرحلة، ومنها تعدد البعثات، مع ظهور عدد من البحوث التحليلية في دراسة الأدوات الحجرية[١٤٧].

وممَّا يلاحظ في هذه الفترة، كذلك، أنه بالقدر الذي تقلَّصت فيه أنشطة بعض البعثات الأجنبية الميدانية، في

(146) Khalidi L.,2006. Settlement, Culture-Contact and Interaction Along the Red Sea Coastal Plain, Yemen: The Tihamah cultural landscape in the late prehistoric period, 3000-900 BC. Phd Dissertation, University of Cambridge (unpublished). Crassard R., 2007. Apport de la Technologie Lithique ala definition de la prehistoire du Hadramawt, dans le context du Yemen et de l'Arabie du Sud. Phd dissertation, l'Universite Paris 1en (unpublished).

(147) Charpenteir V., 2004. "Trihedral points: a new facet to the "Arabian Bifacial Tradition"? Proceeding of the Seminar for Arabian Studies, V.34:53-66.

بعض دول شبه الجزيرة، فقد توسعت في الوقت نفسه الدراسات التحليلية، وظهرت فئة من المتخصصين في مقرات البعثات، والمعاهد الأجنبية ذات الصلة، تستأثر بدراسة ما هو موجود في المتاحف، والمخازن المحلية، بشكل أوسع مما كان عليه هذا الأمر من قبل، مثل دراسات النقوش في بعض المتاحف اليمنية، ومنها دراسة مخزون المتحف الحربي(١٤٨)، على سبيل المثال، والمتحف الوطني بمدينة صنعاء، وفي متاحف أخرى في المحافظات الجنوبية من اليمن، من قبل بعض المتخصصين في هذا الجانب في المعهد الفرنسي، وآخرين من الإيطاليين، كذلك، وبتمويل عبر مؤسسات محلية، مثل الصندوق الاجتماعي للتنمية في اليمن، وهذا مثال فقط للاستدلال على ذلك، علمًا أن هذه المواد الأثرية، وغيرها من المواد الأخرى، كان يجب أن تترك للمتخصصين المحليين، أو للجيل القادم منهم، ولطلاب الدراسات العليا، على اعتبار أنها محفوظة في هذه المتاحف، سواء دُرِسَت في القريب العاجل أو البعيد، وعلى اعتبار أنها اقتنيتَ بأموال شعبية عبر ميزانيات الدولة.

ومن السمات العامة لهذه الفترة على المستوى الداخلي أيضًا، تزايد بعض الأنشطة المحلية في مجالات العمل الآثاري، ومنها الدراسات الميدانية التي يقيمها متخصصون محليون، خاصة في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة،

(١٤٨) يحتوي المتحف الحربي في اليمن على مجموعة كبيرة من الأدوات الحجرية، والنقوش، ولا يقتصر على الأسلحة الحديثة كما قد يتصوره بعض الناس.



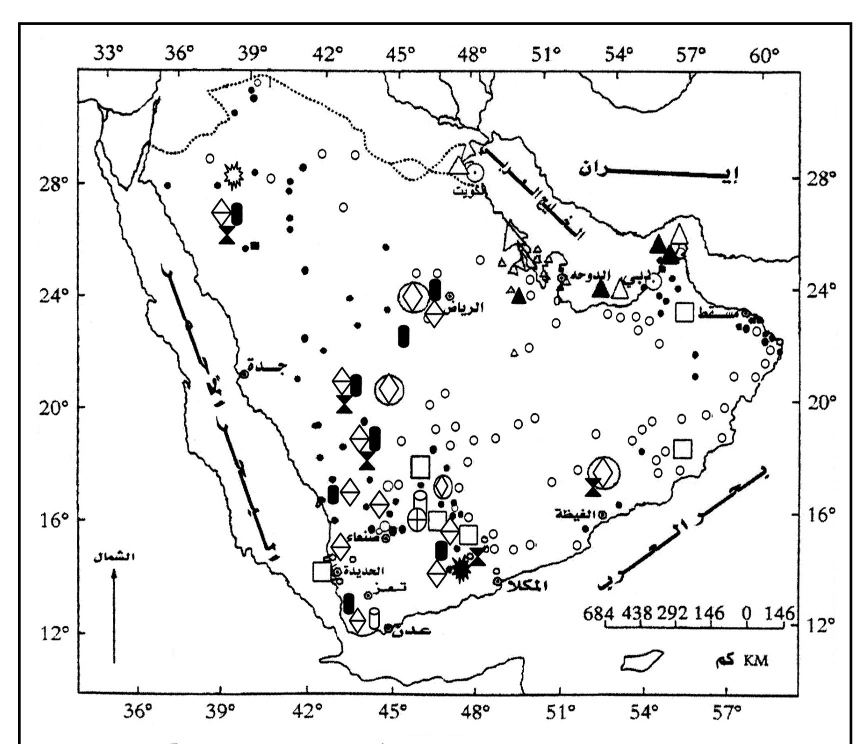
والانتقال من مسألة ربط السياحة بزيارة المعالم الأثرية، التي أخـذت تنظم بشكل هادف في المرحلة الثـالثـة، إلى تدريس السياحة أكاديميًا في الجامعات في الفترة الثالثة من هذه المرحلة.

فهناك علاقة وثيقة بين السياحة، ومواقع ما قبل التاريخ، والمواقع الأثرية بشكل عام، سواء من خلال استغلال هذه المواقع في الجوانب السياحة، أو من خلال الحفاظ على محتوياتها أثناء الرحلات السياحية، أو فيما يتعلق بجوانب تدريس ما قبل التاريخ لطلاب السياحة، أيضًا. وللاستدلال على ربط السياحة بالآثار، ومن ذلك آثار ما قبل التاريخ، وكذا تدريس السياحة أكاديميًا في هذه الفترة، إلى جانب الآثار: فتح قسم الفندقة والسياحة في جامعة تعز عام ١٩٩٩م (١٤٢٠هـ)، وكذا فتح قسم الفندقة والسياحة في كلية التجارة والعلوم في جامعة إب عام ٢٠٠٦م (١٤٢٧هـ)، وقسم الآثار والسياحة عام ٢٠٠٦م (١٤٢٧هـ) في كلية التربية والعلوم والآداب في مدينة مأرب، والتابعة لجامعة صنعاء، وتدرس ما قبل التاريخ في هذه المؤسسات العلمية، ليس هذا وحسب، بل لقد فصلت السياحة في اليمن عن وزارة الثقافة، في وزارة مستقلة لأول مرة.

وفي المملكة العربية السعودية أنشِئت كلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود في عام ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ)، وكان ذلك بعد إنشاء الهيئة العليا للسياحة، بدءًا بقرار تأسيسها في عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ثم إنشاء قطاع الآثار والمتاحف بقسم

منها بدلاً عن وكالة الآثار التي كانت ملحقة بوزارة التربية والتعليم. أمّا في الإمارات العربية المتحدة، فقد أنشِئت منذ البداية دائرة الآثار والسياحة في عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ)، وكذا في باقي دول شرقي الجزيرة في فترات مختلفة. علمًا أن السياحة، في واقع الأمر، تضررت إلى حد كبير في هذه الفترة، وخاصةً في اليمن، وبنسب متفاوتة في باقي دول شبه الجزيرة العربية، ومع ذلك فقد أخذ قطار السياحة فيها يتحرك إلى الأمام، أكثر مِمّا كان عليه من قبل، ويُعدُّ ربط الآثار، ومن ذلك آثار ما قبل التاريخ، بالسياحة، وخاصة السياحة الثقافية، من التوجهات الجديدة في هذه الفترة، لما في ذلك من مردود اقتصادي، وفوائد أخرى كثيرة.

الملاحق



خارطة١- توزيع مواقع العصور الحجرية في الجزيرة العربية:أ- العصر الحجري الحديث:○- موقع واحد؛ ●- مجموعة مواقع تقل عن ١٥موقعاً؛◊- مجموعة مواقع تزيد عن ١٥موقعاً؛ ■- مجموعة مواقع مع بعض الفخار؛△- موقع واحد مع فخار العبيد؛▲- مجموعة مواقع مع فخار العبيد؛△- تجمعات كبيرة لمواقع مع فخار العبيد؛□- مجموعة مواقع أقلها ١٨موقعاً في حَوَى بالربع الخالي، وأكثرها يصل إلى٩٩موقعاً بحضرموت؛⊕- ٣٣موقعاً، بينهما موقعان لما بعد العصر الحجري الحديث بمنطقة العُقلة في شبوة بالربع الخالي. ب- توزيع مواقع العصر الحجري القديم: ✹- موقع ألدواني واحد في الشويحطية بسكاكا؛ ✹- مواقع ألدوانية (كهف القزة، والأميرة، وشرحبيل بحضرموت)؛ ▯- موقع آشولي واحد؛▮- مواقع آشولية؛◊- مواقع من العصر الحجري القديم الأوسط؛⧗- مواقع من العصر الحجري القديم الأعلى؛⊙- مدن ومراكز سكانية.

شكل رقم (١)

شكل ١/أ

شكل ١/ب

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

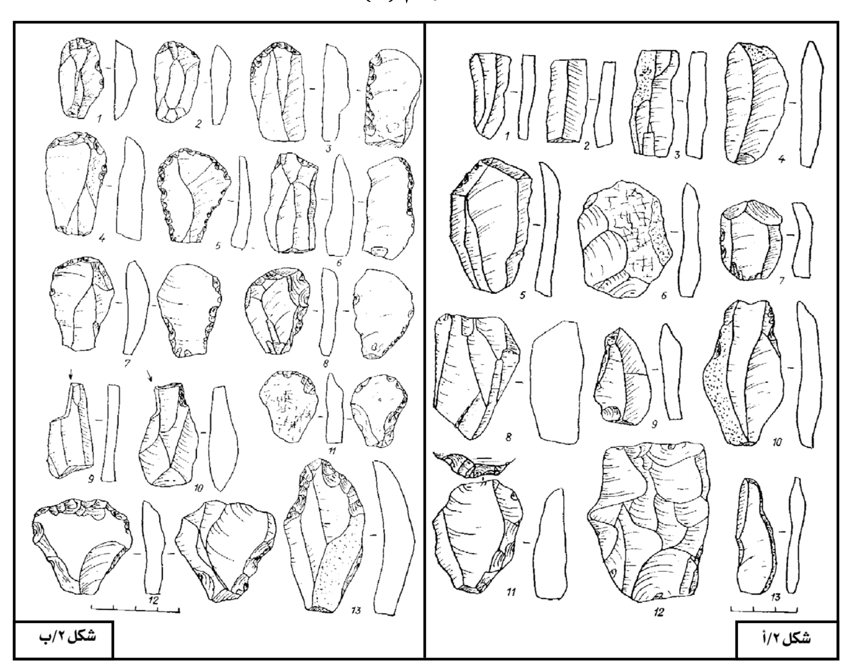
شكل ١/ج

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢

شكل١: أدوات من العصر الحجري الحديث: شكل١/ أ- من شمالي الجزيرة، نقلاً عن (Gilmore et., al. 1982. Op. Cit.)**؛ شكل١/ ب: ١-٤ نقلاً عن** (Kapel 1967. Op. cit.)**، ٥- ٦ نقلاً عن** (Inazan 1988. Op. cit.) **وجميعها من ثقافة الشطائر في قطر؛ شكل١/ج: ١- من الصبية بالكويت نقلاً عن** (Carter et. al. 1999. Op. Cit)**، ٢- من عُمان، نقلاً عن** (Zarins 1998. Op. Cit.)**، ٣- من الإمارات، نقلاً عن** (Charpentier 2004. Op. Cit.)**، ٤- من رملة السبعتين نقلاً عن (المعمري،٢٠٠٠م، مصدر سابق).**(Rashed 1993b. Op. Cit)**؛ ٥- من قطر نقلاً عن** (Inazan 1988. Op. cit.)**، ٦- من العارض بالرياض، نقلاً عن** (Zarins et. al., 1982. Op. Cit.)**، ٧- من وادي ضهر بحوض صنعاء، نقلاً عن المعمري٢٠٠٥. مصدر سابق)، ٨- من المرخ في البحرين، نقلاً عن** (Roaf 1976. Op. Cit)**، ٩- من تهامة، نقلاً عن** (Khaildi. Op. Cit.)**، ١٠ من حرة نواصف بالطائف نقلاً عن** (Zarins et. al., 1980. Op. Cit)**، ١١- من حضرموت، نقلاً عن** (Crassard 2007. Op. Cit.)**، ١٢- من الربع الخالي، نقلاً عن** (Zeuner 1954. Op. Cit.)**، وجميع هذه الأدوات في شكل١: ج، هي من النمط الصحراوي في ثقافة الشظايا.**



شكل رقم (٢)



شكل٢: أدوات من العصر الحجري القديم الأعلى: من موقع (الغبر٤)، باستثناء المكشط رقم٣ (شكل٢/ب: ٣) من موقع جول عروم، وجميعها من وادي دوعن بحضرموت في جنوبي الجزيرة العربية، نقلاً عن: (Amirkhanov 1991. Op. Cit.)، وهي في الغالب مجهزة على فِلق حجرية انتزعت من النواة بطريقة متوازية وشبه متوازية، متشابهة من حيث المبدأ مع طريقة انتزاع الشطائر الحجرية، ولكن نسبة الشطائر قلية جداً هنا، ولذا فإن خصائص العصر المذكور تختلف عن خصائص العصر نفسه في كل من أوروبا وبلاد الشام.

شكل رقم (٣)

شكل ٣/أ

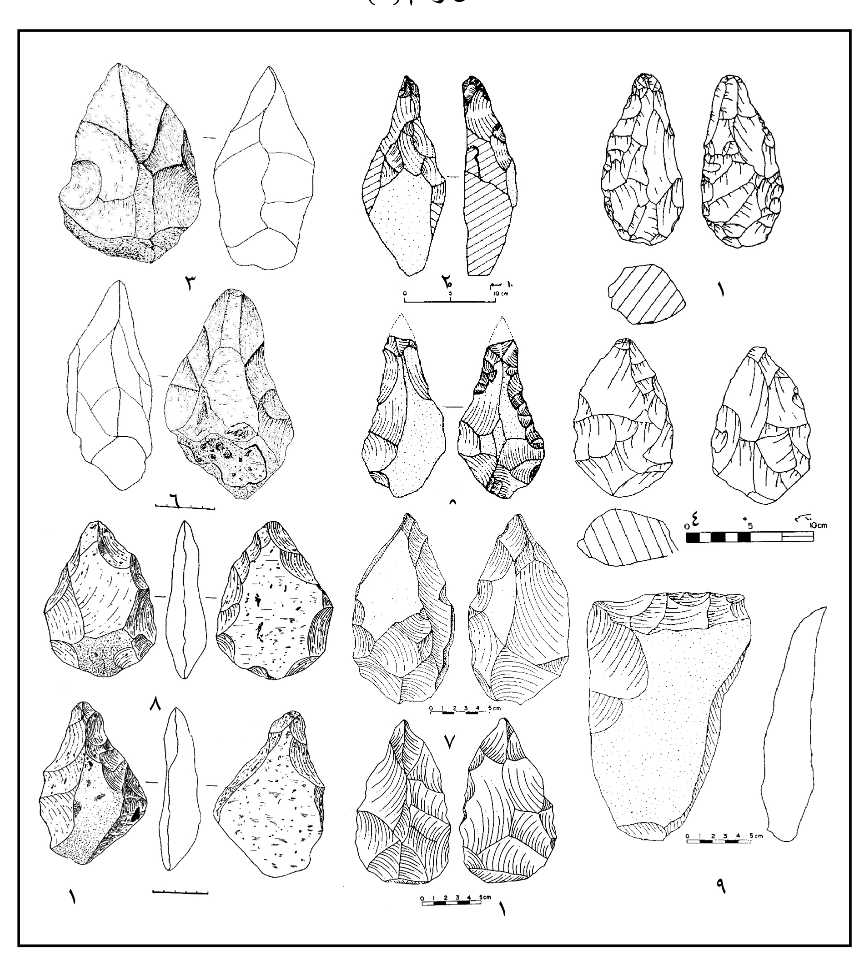
شكل ٣/ب

شكل ٣/ج

شكل٣: أدوات من العصر الحجري القديم الأوسط: شكل٣/ أ- من حضرموت، نقلاً عن (Amirkhanov 1991. Op. Cit.)؛ شكل٣/ ب- من الموقع ٢٠٥- ٦١ في شمال شبه الجزيرة، نقلاً عن (Gilmore et., al. 1982. Op. Cit.)، شكل٣/ج: ١، ٢، ١٢، ١٣- من الموقع ٢١٧ج، ٣- ١٠من مواقع مختلفة في المنطقة الغربية من وسط شبه الجزيرة، نقلاً عن (Whalen et., al., 1981. Op. Cit.)، ١١- من المواقع: ٢١٧- ١٤٧ في المنطقة الجنوبية الغربية من وسط شبه الجزيرة، نقلاً عن (Zarins et., al., 1981. Op. Cit.).

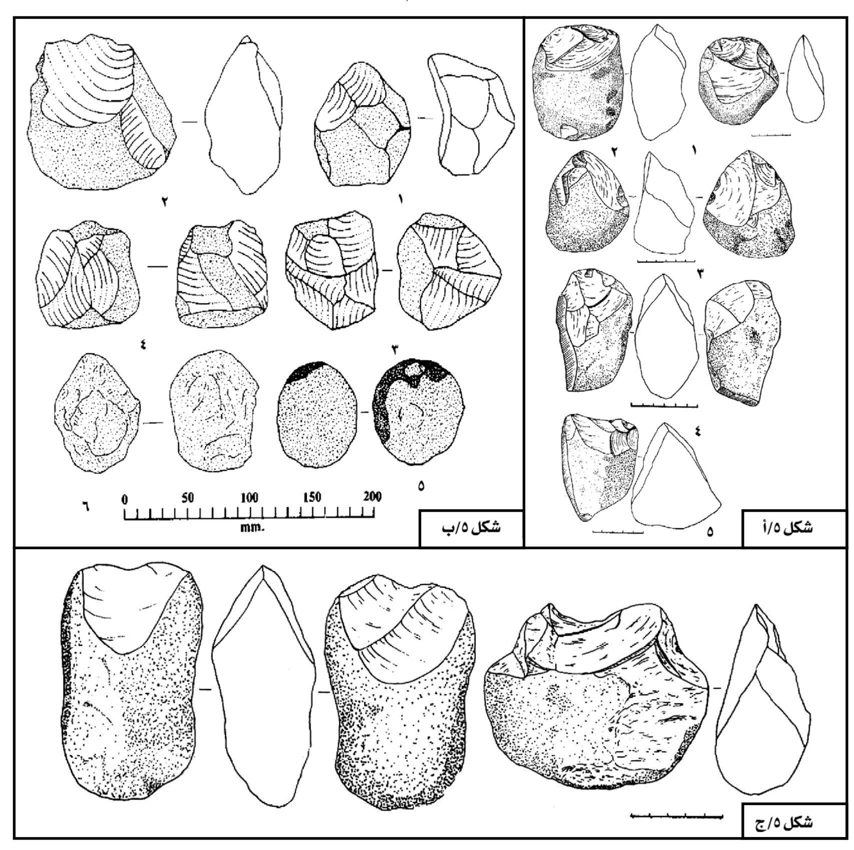


شكل رقم (٤)



شكل٤: أدوات من العصر الآشولي: ١، ٤- فأسان يدويتان: الأولى من الموقع ٢٠٠- ١٣٦ بجبل الطبيق بالقرب من كلوة شمالي الجزيرة، والثانية من الموقع ٢٠٥- ٥أ في حرّة خيبر شمال غرب الجزيرة، نقلاً عن (Gilmore et., al. 1982. Op. Cit.)**؛ ٢، ٥- معولان من الموقع ٢٠٦- ٧٦ في صفاقة بالدوادمي، نقلاً عن** (Whalen et., al. 1983. Op. Cit.)**؛ ٣، ٦- من جول عُروم، ٨، ١١- من الغَبر في وادي دوعن بحضرموت في جنوبي الجزيرة، نقلاً عن** (Amirkhanov 1991. Op. Cit.)**؛ ٧، ١٠- فأسان يدويتان على شكل قلب** (Cordi-form Hand-axe)**، ٧: من الموقع ٢٠٦- ٦٨ في صفاقة بالدوادمي بوسط الجزيرة، بينما الفأس رقم١٠ من الموقع ٢٠٦- ٧٦؛ ٩- ساطور** ((Cleaver)**، نقلاً عن** (Zarins et., al. 1980. Op. Cit.).

شكل رقم (٥)



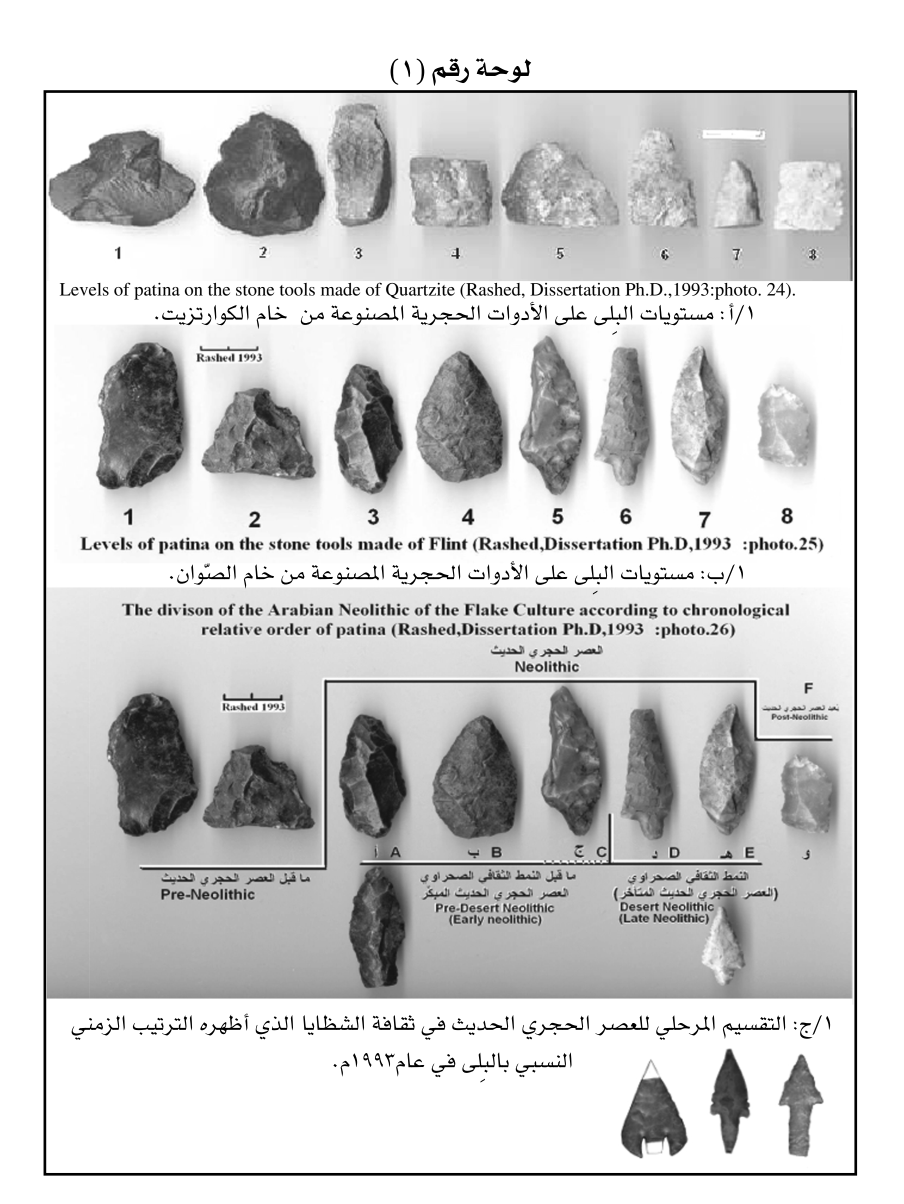
شكل٥/ أ- أدوات حجرية من عصر الدوان بحضرموت في جنوبي الجزيرة :١-٣- مهاشم (Choppers) **من كهف القُزة:١- من الطبقة (ن)،٣- من الطبقة (ج)، ٤- مهشم من الطبقة (أ) من كهف شرحبيل،٥- مهشم من الطبقة (أ) من كهف الأميرة، نقلاً عن** (Amirkhanov 1991. Op. Cit.).

شكل٥/ ب- أدوات حجرية من عصر الدوان المتطور من موقع الشويحطية بشمالي شبه الجزيرة، نقلاً عن (Whalen et., al., 1986 Op. Cit.)**: ١، ٢- مَهْشَمَان** (Choppers)**، ٣، ٤- من ذات القطاعات، أو (الأوجه) المتعددة** (Polyhedrons) **، ٥- أداة كروية الشكل** (Spheroid)**، ٦ - أداة شبه كروية** (Sub-spheroid).

شكل٥/ ج - مهشمان (Choppers) **من عصر ألدوان من الطبقة (ج) بكهف القزة بحضرموت في جنوبي شبه الجزيرة العربية، نقلاً عن** (AmirKhanov 1991. Op. Cit.).



لوحة رقم (١)



Levels of patina on the stone tools made of Quartzite (Rashed, Dissertation Ph.D.,1993:photo. 24).

١/أ: مستويات البِلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من خام الكوارتزيت.

Levels of patina on the stone tools made of Flint (Rashed,Dissertation Ph.D,1993 :photo.25)

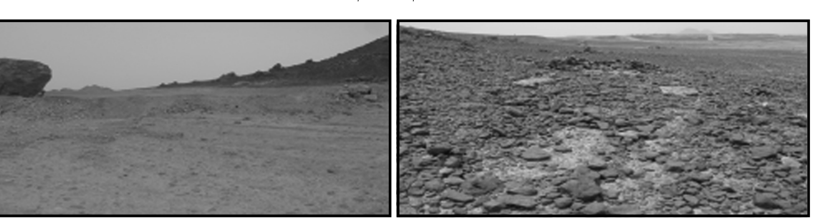
١/ب: مستويات البِلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من خام الصّوان.

١/ج: التقسيم المرحلي للعصر الحجري الحديث في ثقافة الشظايا الذي أظهره الترتيب الزمني النسبي بالبِلى في عام١٩٩٣م.

لوحة١- نموذج من نماذج مستوى الدراسات الأثرية في المرحلة الثالثة من مرحل دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة: الترتيب الزمني النسبي بالبِلى ودوره في إظهار تطور كل من أدوات ثقافة الشظايا أو الثقافة "العربية"، ومبدأ تقسيم العصر الحجري الحديث في هذه الثقافة من خلال تحديد الرؤوس الخاصة بالنمط الصحراوي في المجموعة (د) نقلاً عن: (رسالة الدكتوراة لكاتب هذه الدراسة (Rashed, 1993b وقد أغني هذا الترتيب بإضافات جديدة مؤخراً (المعمري٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢)

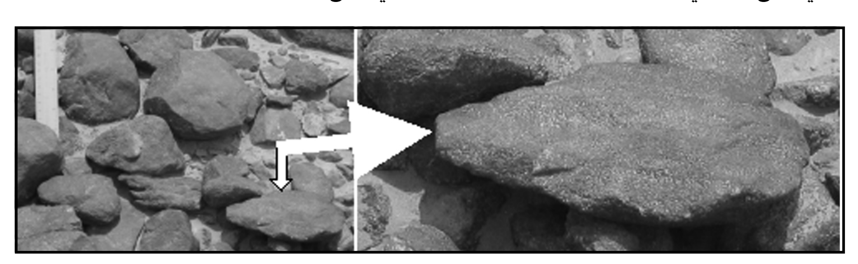
لوحة رقم (٢، ٣، ٤، ٥)

لوحة٢: جبل العقلة برملة السبعتين وموقع آشولي فيه كبير المساحة عثر عليه باحث هذه الدراسة عام ٢٠٠٨م



لوحة٣: نموذج للأماكن التي لم تتضرر كثيراً في موقع آشل في جبل العقلة برملة السبعتين.

لوحة٤: نموذج للأماكن التي تضررت بشكل كبير في موقع آشل بجبل العقلة برملة السبعتين.



لوحة٥: فأس آشولي بجانب مصنوعات أخرى بجبل العقلة برملة السبعتين، تركه الباحث في مكانه على أمل دراسة الموقع بطريقة منهجية.

لوحة٢-٥: من الاكتشافات الآثارية في الفترة الثالثة من فترات المرحلة الثالثة من تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، اكتشفه باحث هذه الدراسة خلال دراسة بيئية، أقامتها شركة (OMV) النفطية عام ٢٠٠٨م، وقد أوصى الباحث في تقريره، بضرورة القيام بدراسة هذا الموقع، ومواقع أخرى من العصر الحجري الحديث وجدها في المنطقة نفسها.

لوحة رقم (٦، ٧)

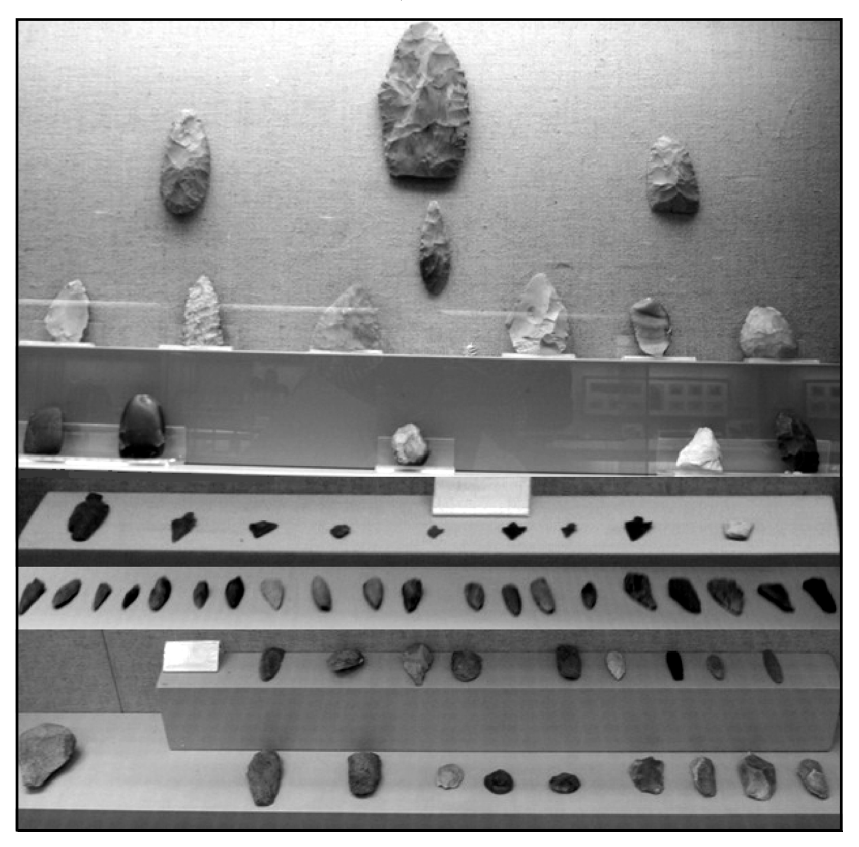


لوحة٦: صورة مستعادة من حياة ما قبل التاريخ في المتحف الوطني بالرياض.



لوحة٧: من أدوات ما قبل التاريخ في المتحف الوطني بالرياض.

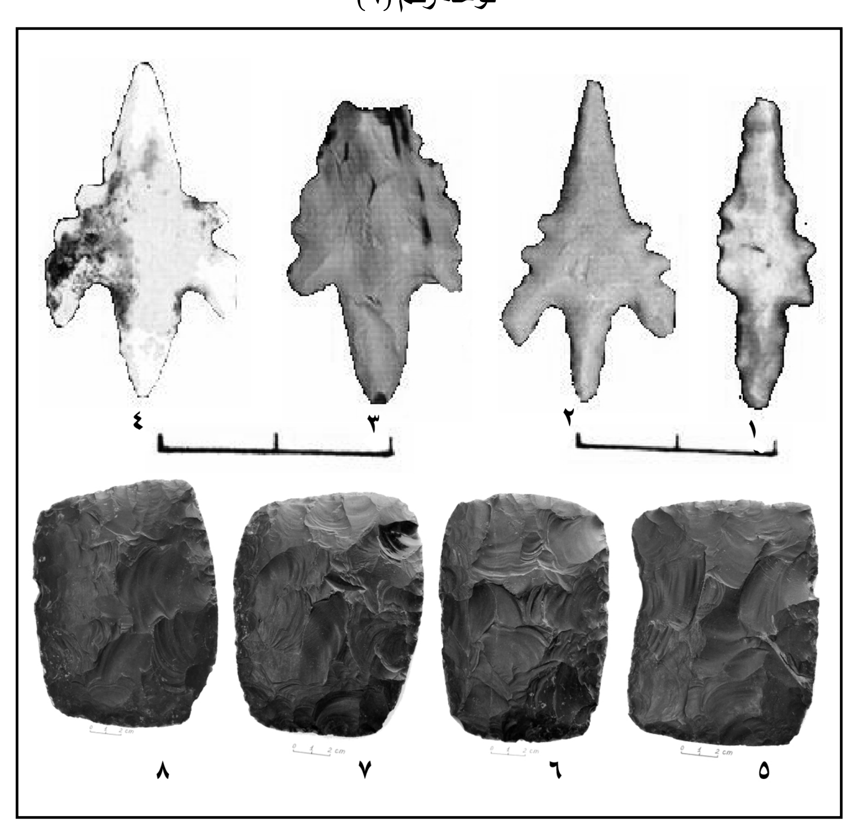




لوحة٨: أدوات حجرية لما قبل التاريخ من قرية (الفاو) معروضة في متحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود في الرياض.



لوحة رقم (٩)



لوحة٩: أدوات حجرية لما قبل التاريخ من قرية (الفاو) معروضة في متحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود في الرياض.